قضايا شائكة على الساحة الإسلامية

تأليف

محمود حسن جناحي

١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقــدمة	ص٣
القضية الأولى: وقفات مع ثورات الربيع العربي	ص٤
القضية الثانية: ظاهرة المبالغة في الوسطية	ص١٥
القضية الثالثة: الإسلاميون والسياسة.. أين المشكلة؟	ص١٩
القضية الرابعة: السياسة المعاصرة واستدعاء التصوف	ص٢٩
القضية الخامسة: الجهاد الأفغاني.. يا لها من دروس وعبر	ص٣٩
القضية السادسة: عودة طالبان.. مزيد من الدروس والعبر	ص٤٣
القضية السابعة: نقاش حول فكر الأستاذ سيد قطب	ص٥٠

المقـدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

تزخر الساحة الإسلامية المعاصرة بالعديد من القضايا ذات الطابع الفكري أو السياسي، والتي يدور حولها الجدل ويتنوع النقاش ويتجاذب. بعض هذه القضايا أسميناها (شائكة)، وذلك لخصوصيتها من جانب، ومدى عمق الخلاف الدائر حولها من جانب آخر. هذا النوع من القضايا يستهلك -لا شك- الكثير من الجهود والطاقات الفكرية والذهنية من قِبَل الخائضين فيها.

تتلخص فكرة هذا البحث في عرض وتقديم بعض من أهم هذه القضايا الشائكة، والتي طرحت على الساحة الإسلامية، وهي قضايا تصدى لها الكثير من رجال الفكر والدعوة والسياسة، من العاملين في الحقل الإسلامي.

ومع تنوع القضايا والاشكالات المطروحة، تنوعت اتجاهات المهتمين في المعالجة والوصول إلى الحلول.

وقد حاولنا عرض هذه المعالجات بكل حيادية، مع طرح أرائنا الخاصة في هذه القضايا أحيانا. سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

محمود حسن جناحي

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م

القضية الأولى
وقفات مع ثورات الربيع العربي

اندلعت هذه الثورات في خمس دول عربية هي تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، والنتيجة: فشل كل هذه الثورات في تحقيق أهدافها. قد يكون هذا الكلام قاسيا، ولكن مَن قال إن (الحقيقة) تكون دائما ناعمة أو مستساغة!

لا نقصد هنا الاستهانة بشعوب هذه الدول، ولا تجاهل التضحيات التي قُدّمت، والدماء الطاهرة التي سالت.. أبدا. ولكن التاريخ أمانة في رقابنا جميعا.

أولا: الثورة التونسية

كان الهدف من الثورة هو تحسين الأوضاع الاقتصادية، وتحقيق العدالة والحريات، وحقوق الإنسان، والديمقراطية، والشفافية والنزاهة، والعدالة في توزيع الثروة، ... إلخ. فقد كانت الأوضاع سيئة للغاية ما قبل الثورة.

كان هروب الطاغية زين العابدين بن علي والنجاة بجلده هو المؤشر على (نجاح) الثورة. وأصبح في تونس ديمقراطية، وانتخابات، وأحزاب سياسية، في مقدمتها حزب حركة النهضة، المعارض القوي والعتيد للرئيس بن علي، ومن قبله للرئيس الحبيب بورقيبة. كان النظام الحاكم في تونس منذ الاستقلال علمانيا أمنيا متطرفا، وكان معاديا للإسلام بصورة واضحة.

وكان الهروب الكبير لزين العابدين بن علي مدويا ومفاجئا، فقد تخلى عن السلطة بسهولة كبيرة لم يتوقعها أحد، وهو الدكتاتور الدموي القوي. وإلى هذه اللحظة، لم يتوقف أحد أمام هذه المسألة الخطيرة: لماذا تخلى الدكتاتور عن (مُلْكه) بهذه السهولة؟ ماذا جرى بالضبط؟ ومن كان وراء إجباره على التخلي عن السلطة؟ هل هو الشعب التونسي وثورته، أمام قوى أخرى لا نعلمها!

بعد ثلاث سنوات من الثورة، وكنتيجة لانتخابات ديسمبر ٢٠١٤م، وصل إلى منصب رئيس الجمهورية الباجي قائد السبسي، الذي هو من أركان النظام القمعي السابق، الذي قامت الثورة أصلا لإسقاطه!

الباجي قائد السبسي، كان من أركان النظام الدكتاتوري في عهدي بورقيبة وبن علي! هذا هو تاريخه (الحافل):

- وزير الداخلية (١٩٦٥-١٩٦٩م)..
- وزير الدفاع (١٩٦٩-١٩٧٠م)..
- سفير في فرنسا (١٩٧٠-١٩٧١م)..
- وزير الخارجية (١٩٨١-١٩٨٦م)..
- رئيس مجلس النواب (١٩٩٠-١٩٩١م)..
- رئيس الجمهورية (٢٠١٤-٢٠١٩م).

ثم جاءت انتخابات أكتوبر ٢٠١٩م لينتخب الشعب التونسي قيس سعيّد، المجهول الحال! الذي أعاد البلاد إلى أجواء ما قبل الثورة، بل أسوأ بكثير، فقد حلّ البرلمان المنتخب، وأجرى انتخابات أخرى كارتونية، وضيّق على الأحزاب، وطغى وتجبّر.

أي ثورة هذه التي تنتخب أحد رموز النظام السابق؟ ثم تنتخب من بعده مَن ينقلب على الثورة؟! لماذا قامت أصلا! أليس للتخلص من كل ما يمثل الحقبة المظلمة التي امتدت من الاستقلال إلى الثورة؟

وماذا عن الوضع الاقتصادي؟ هل تحسن في ظل الثورة؟

"وبدأ الشعب التونسي يحلمون بغد أفضل، لكن الأمور كان تسير من سيئ إلى أسوأ، فبعد سبع سنوات من الثورة مازالت تونس الخضراء تعاني من ويلات الأزمات الاقتصادية، فوزير المالية التونسي بالنيابة، محمد الفاضل عبدالكافي، صرح قبل أيام بأن (كل محركات الاقتصاد التونسي شبه معطلة، نحن في حاجة إلى موارد مالية عاجلة خلال الأشهر المقبلة، تونس لم تعد قادرة على التصدي لالتزاماتها المتعددة إلا عن طريق الاقتراض). وبحسب الإحصائيات الأخيرة بالنسبة للاقتصاد التونسي، ارتفعت نسبة البطالة خلال عام ٢٠١٧م لتصل ١٥,٧%، كما بلغت نسبة الدَين العام حوالي ٥٢,٧ % من الناتج المحلي، وبلغ عجز الميزان التجاري ٧,٩%، وانخفض

معدل النمو إلى ما يقرب من ٢% لتصل نسبة الانخفاض إلى أكثر من ١٠٠% مقارنة بالأوضاع التي كانت قبل الثورة".[١]

أين التغيير الذي أحدثته (الثورة) إذن؟ كان الشعب في السابق يعاني ولا شيء يلهيه عن هذه المعاناة. ثم جاءت ديمقراطية هزيلة وانتخابات وأحزاب تلهي الشعب عن معاناته. ثم رجع الاستبداد!

وماذا عن الإسلاميين، وما موقع الإسلام في تونس الثورة؟

في عام ١٩٦٠م، خرج الرئيس الدكتاتور الحبيب بورقيبة على شاشة التلفاز في نهار رمضان وهو يشرب العصير ويطالب شعبه بالاقتداء به، لأن الصيام يعطل الإنتاج! وفي عام ٢٠١٧م طالب الرئيس (المنتخب) الباجي قائد السبسي بالمساواة في الميراث بين الرجل والمرأة، وبالسماح للمسلمة أن تتزوج من غير المسلم!

أصبحت حرمات الإسلام تنتهك بمشاركة (غير مباشرة) من الإسلاميين! باعتبارهم كانوا طرفا رئيسا في كل حكومات (الثورة)، والكتلة الأكبر في كل المجالس النيابية المنتخبة في الفترة من ٢٠١١م إلى ٢٠٢٢م، عندما حلّ قيس سعيّد البرلمان.

ثانيا: الثورة المصرية

ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م العجيبة.. قامت من أجل الحرية والعدالة، فرجعت بمصر إلى الوراء مئات السنين!

بدأت إرهاصات الثورة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي! وبأيدي من قيل عنهم "شباب الثورة"، والكل قال إنهم من غير الإخوان.. أين اختفى "شباب الثورة"؟ الإخوان انتهوا إلى المذابح والسجون، والشباب الذين قيل أنهم أشعلوا الثورة غابوا تماما عن المشهد، كما غاب تماما بعد ذلك شباب "حركة تمرد"، الذين كان دورهم تمهيد الأجواء للانقلاب. هل كان المحرك وراء هؤلاء وأولئك واحدا؟

---

[١] **مقال على موقع (مواطن)، يناير ٢٠١٨م.**

استقال حسني مبارك، فظن (شباب) الثورة و(شيوخها) أن ثورة ٢٥ يناير المجيدة قد انتصرت.. ولم ينتصر أحد إلا العسكر، ومن ورائهم الدولة العميقة بكل مقوماتها، ومن وراء الجميع القوى الإقليمية والدولية بكل إمكانياتها. لقد ضحّت الدولة العميقة بشخص واحد هو حسني مبارك، من أجل أن تستمر، ولم يفقه ذلك أحد من الثوار!

إن الذي استمر متحكما في الأمور بعد استقالة مبارك كان المجلس العسكري برئاسة المشير طنطاوي. أصبح الرجل الثاني في النظام هو قائد الركب في زمن الثورة! وهكذا حصل أعداء الثورة على كل الوقت اللازم لإعداد الانقلاب المضاد للثورة.

واستمرت سياسة إغواء الثوار وإلهائهم بمكاسب مؤقتة، وإن كانت حقيقية. جاءت انتخابات مجلس النواب، ومجلس الشورى، والانتخابات الرئاسية، والاستفتاء على الدستور.. جاءت كل هذه الانتصارات لترسخ (نشوة النصر) لدى الثوار، خاصة الإخوان، فظن الجميع إن النظام القديم قد زال، وإن النظام الجديد قد بدأ، مع أن عشرات الشواهد كانت تدل على عكس ذلك، ولكنها نشوة الانتصار. كانت تلك انتصارات مؤقتة، ولكن المشكلة أن الثوار لم يدركوا أنها (مؤقتة)!

سمح أعداء الثورة للإخوان بأن يحققوا انتصارات، لأن لهم شعبية قوية. علِم الأعداء بأن الإخوان بإمكانهم تحقيق انتصارات، ولكنهم علموا أيضا أن ليس بإمكان الإخوان المحافظة على هذه الانتصارات! لأنهم ببساطة، لا يملكون أي من عناصر القوة: لا قوة الجيش والشرطة والمخابرات، ولا قوة الشعب! الشعب الذي سيصوت بغالبية بسيطة للإخوان في وقت الرخاء، ولكن لن تبقى الأمور هكذا في وقت الشدة: وقت الذبح والسحل والضرب والاعتقال والتعذيب والاختفاء القسري!

كل الدلائل كانت تشير أن الوصول للحكم والتمكن منه خط أحمر غير مسموح به للإسلاميين. ماذا فعل عسكر الجزائر المدعوم من الغرب بالشعب الجزائري عندما صوّت للإسلاميين؟ وماذا فعل ويفعل الغرب والشرق بحركة حماس وبأهل غزة منذ نجاح حماس في انتخابات ٢٠٠٦م؟ لكن الإخوان لم يقرؤوا الواقع المحلي والإقليمي والدولي قراءة واعية صحيحة. العالم يخوض حربا عالمية ضد الإخوان منذ عام

١٩٤٨م، حين عقد اجتماع (فايد) في منطقة القناة بين سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا، ولكن الإخوان تناسوا كل ذلك.

بدأ تمهيد الجو للانقلاب عن طريق إحداث كمّ هائل من البلبلة الداخلية: أسسوا "جبهة الإنقاذ" (أو الخراب) ووضعوا فيها كل متردية ونطيحة، وأسسوا "حركة تمرد" برئاسة مجموعة من الشباب من السكارى والحشاشين! لم يكن الهدف منهم مقارعة الإخوان في شعبيتهم، فلم يكونوا ندّا للإخوان في هذا المجال، بل كان الهدف إشعال الساحة المصرية بالفتن والقلاقل، والقيام بأعمال العصيان والحرق والتدمير، ثم دعوة الجيش للتدخل بحجة إعادة الأمن والمحافظة على البلد، فكان الانقلاب.

لقد تقدم الإسلاميون لموقع الحكم ولم يكونوا مستعدين لذلك، ولم يكن الشعب كذلك مستعدا لأَن يحكمه الإسلاميون.

وبدأت المحنة من جديد. انسحبت جموع الشعب من الميادين إلا القليل، وانتهت صلاحية "جبهة الإنقاذ" و"حركة تمرد" بعد إنجاز المهمة، وبقي الإخوان وغيرهم من المخلصين والشرفاء فكانت ملحمة (رابعة). وهذا ما يبرع فيه الإسلاميون: الملاحم والمحن.

كانت (ملحمة) ٢٠١٣م نسخة مكررة من (ملحمة) ١٩٥٤م، ولكن بشراسة أكبر بكثير.

ثالثا: الثورة الليبية

انتصر الثوار على الطاغية معمر القذافي، الذي حكمهم لمدة ٤٢ سنة، فبعد كثير من التضحيات تمكنوا -بمعونة الغرب- من هزيمة كتائب القذافي. انتصر الثوار على الطاغية، ولم ينتصروا على أنفسهم! نجح الثوار في إشعال الثورة، وفشلوا في إقامة الدولة!

بعد مرور عقد ونصف على الثورة، لا زالت ليبيا تعيش في ظل فوضى عارمة، حيث لا أمن ولا أمان، ولا وحدة ولا اتحاد، وتعاقبت الحكومات، وتعددت الاستقالات والإقالات، والمتمرد خليفة حفتر ومليشياته يعيثون في الأرض فسادا.

وظهرت في ليبيا بدعة قديمة جديدة، ظهرت (المدن-الدول)، وهي الظاهرة التي عرفتها البشرية قبل آلاف السنين: مجلس شورى مجاهدي بنغازي، مجلس شورى مجاهدي درنة، ثوار مصراته، ثوار الزنتان، كتيبة ثوار طرابلس، ...إلخ

بدل أن ينطلق الثوار نحو المستقبل، رجعوا إلى الوراء بامتياز!

رابعا: الثورة السورية

تسببت الثورة السورية في مأساة هي الأكبر من نوعها منذ الحرب العالمية الثانية. كانت البداية جيدة، يوم لم نكن نسمع إلا عن "الجيش السوري الحر"، ثم بدأ التفريخ!

صحيح أن العالم بأسره تآمر على هذه الثورة المسكينة، وصحيح أن الدول العربية والإسلامية خذلت الشعب السوري وثورته، وصحيح أن المصائب الناتجة عن أفعال "داعش" و"القاعدة" و"جبهة النصرة" لا تعد ولا تحصى، ولكن السبب الأول في فشل الثورة يعود إلى الثوار أنفسهم، بانقسامهم إلى مئات الفصائل والكتائب والجبهات والجيوش.

انظروا إلى هذه الأسماء الطنانة الرنانة (على سبيل المثال لا الحصر): أحرار الشام، فيلق الشام، سرايا أهل الشام، جيش الإسلام، جيش المجاهدين، جيش الفتح، فيلق الرحمن، ألوية الفرقان، لواء شهداء الإسلام، جيش أحرار العشائر، جيش التوحيد، جبهة أنصار الإسلام، الجبهة الإسلامية، ألوية أحفاد الرسول ﷺ، جبهة الأصالة والتنمية، لواء شهداء اليرموك، حركة نور الدين زنكي، جيش خالد بن الوليد، قوات شباب السنّة، لواء درع الساحل، ...إلخ.

وانشغل الثوار بالحرب حسب التقسيم التالي: ٢٥% من الوقت والجهد لحرب النظام المجرم ومليشياته الطائفية، و٧٥% لحرب بعضهم بعضا! شيء أغرب من الخيال.

عندما قرر الثوار في فيتنام، إعلان الحرب ضد المستعمر الأمريكي، الذي كان يحتل النصف الجنوبي من فيتنام، أسسوا جيشهم الذي اشتهر باسم الـ "فيتكونغ"، وظل هذا الجيش يحارب الأمريكان منذ تأسيسه عام ١٩٥٩م، وحتى خروج آخر

جندي أمريكي من البلاد عام ١٩٧٣م. ظل الثوار طوال هذه المدة في جيش واحد، وتحت قيادة واحدة، وأهداف واضحة، حتى حققوا النصر. لماذا نجحوا وفشل ثوارنا؟!

وتحولت الثورة السورية إلى (مؤتمرات رقمية): جنيف ١، جنيف ٢، أستانا ١، أستانا ٢، الرياض ١، الرياض ٢، ... إلخ. كل هذا والمشروع الطائفي البغيض يزداد قوة في أرض الشام. يا لهفي على الشام.

خامسا: الثورة اليمنية

خرج الثوار من بيوتهم إلى الشوارع والميادين، وقدموا مئات الشهداء وآلاف الجرحى والمصابين. لماذا؟ لأجل الحرية والعدالة والمساواة، وللقضاء على مظاهر الظلم والسلب والنهب، وهي من سمات النظام الذي ثاروا عليه. فماذا جرى؟

وافق الثوار على المبادرة الخليجية، التي من مقتضياتها اقتسام السلطة لفترة انتقالية بين الطرفين: الثوار، والرئيس علي عبدالله صالح (الذي ثاروا عليه!).. ورجع الثوار إلى قواعدهم سالمين! منتظرين، وبكل أريحية، انتهاء الفترة الانتقالية، حيث الفوز المضمون في الانتخابات!

كانت المبادرة الخليجية تنص -من ضمن أمور أخرى- على:

- تشكيل حكومة وفاق وطني بنسبة ٥٠% لكل طرف!

- يستمر مجلس النواب، الذي يسيطر عليه الطاغية على عبدالله صالح، في أداء عمله!

- منح الرئيس ومن عمل معه خلال فترة حكمه، الحصانة من الملاحقة القانونية والقضائية!

- يصبح نائب الرئيس (الذي قامت الثورة ضده) رئيسا للبلاد!

- وبعد الفترة الانتقالية، وبعد إعداد الدستور الجديد، تُجرى الانتخابات.

هذه أغرب ثورة في التاريخ المعاصر. ذهب الثوار (الطيبون) إلى بيوتهم، انتظارا للانتخابات التي -حتما- سيفوزون فيها! أما الطرف الآخر، فقد كان يصل

الليل بالنهار ويعد الخطط لينقلب على المبادرة الخليجية. وهكذا فعل: تحالف مع الحوثيين (السلاليين) ومن ورائهم إيران. ورجع النظام الإمامي الطائفي البائد بثوب جديد.

ثورات الربيع العربي وأسئلتها الحائرة

١- **في تونس:** كل الخطوات الغريبة التي يقوم بها الآن رئيس الدولة قيس سعيّد، وكل الإجراءات المثيرة للجدل والمنافية لروح "الثورة" التي اتخذها، إنما تتم بدعم غير محدود من الأجهزة العسكرية والأمنية والمخابراتية. لماذا لم تقدّم هذه الأجهزة دعمها للرئيس الأسبق زين العابدين بن علي مما جعله يولي مدبرا ولم يعقب؟ من الذي يقرر أصلا لهذه الأجهزة أن تتحرك أو تسكن؟ تنحاز أو لا تنحاز؟

سؤال آخر: ما الذي قدمته "الثورة" للشعب التونسي طوال عقد من الزمان؟ هل تحسنت أوضاع الشعب التونسي المعيشية ولو بمقدار ١%؟

٢- **في ليبيا:** الثوار أسقطوا الطاغية القذافي ونسفوه نسفا، ثم ظلوا بلا دولة منذ ٢٠١١م وحتى هذه اللحظة، لماذا؟ صبر الليبيون على طغيان القذافي (٤٢) سنة، ثم تحول كل واحد منهم إلى قذافي صغير: هذا يحكم مدينة، وذاك يحكم قرية، وثالث يتحكم في واحة في الصحراء ... إلخ.

نجحوا (بمساعدة الغرب) في إشعال ثورة، ثم فشلوا (ولا يزالون) في إقامة دولة. لماذا؟

٣- **في مصر:** بعد مرور ١٣ سنة على "ثورة ٢٥ يناير" المجيدة، يعيش الشعب المصري وضعا اقتصاديا ومعيشيا هو الأسوأ منذ عهد محمد علي باشا! الملايين التي خرجت إلى ميدان التحرير وأسقطت حسني مبارك، أين هي الآن؟ لماذا لم يخرج الشعب المصري ليدافع عن (ثورته) كما فعل الشعب الفنزويلي عام ٢٠٠٢م والشعب التركي عام ٢٠١٥م؟

هذا ما قالته صحيفة (الحرية والعدالة)، التابعة للإخوان، عدد

١٢ أغسطس ٢٠١٢م: "عبدالفتاح السيسي وزير دفاع بنكهة الثورة!

بوابة الحرية والعدالة
Freedom and Justice Portal

عبدالفتاح السيسي .. وزير دفاع بنكهة الثورة

18:33:00 2012-08-12

الفريق عبدالفتاح السيسي رئيس المخابرات الحربية والاستطلاع الذي حلف اليمين أمام الرئيس محمد مرسي كوزير للدفاع خلفاً لحسين طنطاوي، يعد أصغر أعضاء المجلس العسكري سناً، كما أن له مواقف تختلف عن باقي أعضاء المجلس الذي ظل ممسكاً بزمام السلطة في البلاد منذ 11 فبراير 2011 وحتى الآن.

٤- في سوريا: انقسم الثوار إلى مئات الجماعات والأحزاب المسلحة، وكانوا يقاتلون النظام أحيانا، ويقاتلون بعضهم بعضا أحيانا أخرى! لماذا؟

وأين القيادة الموحدة وأين القائد الرمز الذي هو من ضرورات أي ثورة؟ وكيف تلاشى "الجيش السوري الحر" أو كاد؟

٥- في اليمن: ثار الشعب اليمني ضد المستبد علي عبدالله صالح، فجاءهم من هو أشد استبدادا وأكثر ظلما وعدوانا وتخلفا وطائفية: الحوثيون. كيف حدث ذلك؟

لماذا وافق (الثوار) على تلك المبادرة التي ساوت بينهم وبين مَن قاموا بالثورة عليه، مما أدى إلى سيطرة الحوثي وسيده الإيراني على البلد؟

وبصفة عامة: لماذا أخفقت كل (ثورات) الربيع العربي؟ ولماذا يركز مؤيدو هذه الثورات على العامل الخارجي فقط، أي: التآمر الدولي والإقليمي، ولا يلتفتون إلى عوامل الضعف داخل هذه الثورات؟ أليس للسياسة فنونها، وللثورات فقهها؟

هل كانت هذه الثورات مؤامرة خارجية؟

"هل المؤامرة وَهْم يتخيله الإنسان للتهرب من تبعات اخطائه؟ فيحاول إقناع نفسه أنه ليس مسئولا عن الحال المتردي الذي وصل إليه، أو الذي وصل اليه بلده، وأن الآخرين هم من يدبرون الدسائس والمؤامرات لتدميره، أو تدمير بلاده.. أم إنه هناك بالفعل كيانات ودول من القوة بمكان لدرجة استطاعتهم التحكم في العالم، وسير أحداثه، فيقيمون الحرب هنا وهناك، ويغيرون النظام الحاكم هنا وهناك بما يخدم مصالحهم الخاصة، وكل ذلك تحت ستار من السرية، ودون أن يدرك المُتَحَكَم فيهم أنهم مجرد عرائس..

يميل البعض لوجهة النظر الأولى، ويميل آخرون لوجهة النظر الثانية، ويعلم الله ما الحقيقة، ولكن المؤكد أن هناك قدر من الصواب في كلا وجهتي النظر، ففي عالم اليوم أصبح لبعض الدول والكيانات العالمية سلطات وموارد ضخمة تُمَكِنها من ادارة الأمور في العالم كما تريد، ولكن تلك المؤامرات لا تنجح إلا بمساعدة ضحاياها، سواء عن قصد بالعمالة والجشع، أو عن غير قصد بالسلبية والجهل".[٢]

أما نحن، فنميل إلى الرأي القائل بوجود مؤامرة، استخدم المتآمرون فيها نظريات (هندسة الجماهير)..

هندسة الجماهير

"هناك حكومة غير مرئية تتولى مهمة الحكم الحقيقي للأنظمة التي تصف نفسها بالديمقراطية، تبرع تلك الحكومة السرية في تنظيم الجماهير من خلال إستراتيجيات غير مرئية لا تستطيع الجماهير ملاحظة وجودها، استطاعت تلك الحكومة اختراق النظام الديمقراطي بشكل فعّال للغاية، واستطاعت التلاعب بالجماهير بشكل

---

[٢] **من مقال للكاتبة نرمين الشامي، على موقع (انجز كتاب).**

جيد جدًا بحيث تجعلهم يظنون أنهم من يحسمون القرار بأنفسهم، عُرفت تلك الحكومة في علم الاقتصاد السلوكي بـ (هندسة الجماهير) أو (صناعة الموافقة بالإجماع)".[٣]

ويقول الرئيس علي عزت بيغوفيتش رحمه الله في كتابه الشهير (الإسلام بين الشرق والغرب): "لقد أثبت علم نفس الجماهير، كما أكدت الخبرة، أنه من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع".

وللثورات شروطها

"الشروط التي يجب أن تستوفيها أي حركة شعبية لترقى إلى مستوى ثورة:

أولا: وجود قيادة للحركة الشعبية تحدد اتجاهها وتدير تفاعلها مع الأحداث..

ثانيا: وجود مبدأ واضح متكامل، الذي على أساسه يراد تكوين الدولة الجديدة..

ثالثا: اتخاذ الموقف الصحيح والصارم ضد النظام وكل أعوانه، فلا تفاوض ولا تنازلات..".[٤]

هل توفرت هذه الشروط في ثورات الربيع العربي؟!

---

[٣] أميرة جمال: مقال (هندسة الجماهير.. أو صناعة الموافقة بالإجماع)، موقع (نون بوست)، يونيو ٢٠١٨م.

[٤] صابر النفزاوي: السقوط الحر للثورة المصرية، ص١٤.

القضية الثانية

ظاهرة المبالغة في الوسطية

المبالغة في الكرم تؤدي إلى الإسراف، والمبالغة في الحرص تؤدي إلى البخل. كما أن المبالغة في الشجاعة تعني التهور، والمبالغة في الحذر تعني الجبن. أما الوسطية فهذه معادلتها:

انعدام الوسطية = تطرف فكري..

والمبالغة في الوسطية = ميوعة فكرية

يحرص الكثير من الدعاة والمفكرين والجماعات الإسلامية على إظهار وسطية الإسلام ونهجه المتسامح المعتدل، وهذا حق، ولكن الرغبة الجامحة لدى البعض في إظهار هذه الوسطية تؤدي إلى نتائج عكسية، وإليكم بعض الأمثلة:

١) داعية ومفكر إسلامي شهير يعلن: "من حق الناس أن تقول ما تشاء في غير الفساد الأخلاقي .. الدعوة إلى الأفكار .. الاعتراض على الدولة .. الاعتراض على الحاكم .. **الاعتراض حتى على الإسلام ما عندي مشكلة بيه .. حتى الاعتراض على الله تعالى وعلى رسول الله"!!**

يتحفظ هذا الداعية فقط على الفساد الأخلاقي، ولا مشكلة في الاعتراض على الله ورسوله ﷺ! وهل هناك فساد أكبر من الاعتراض على الله ورسوله، والتطاول على القرآن والسنة؟ إنها الرغبة الجامحة في إظهار الوسطية ولو على حساب الثوابت.

٢) داعية إسلامي معروف يكيل المديح للمهرج المنحرف المدعو: الدكتور عدنان إبراهيم. هذا الذي يسب سادتنا الصحابة رضي الله عنهم، ويؤمن بنظرية (داروين) ويقول: "قرود الشمبانزي أبناء عمومتنا"!

يقول الداعية (الوسطي) عن هذا المهرج: "**علمه شرعي عميق .. من خلاله عرفت عمق الفكر الإسلامي .. سابق لزمانه .. عالم لا يشق له غبار** .. صديق وحبيب أختلف معه في بعض القضايا .. عميق وصاحب حجة ودليل وبرهان"!

هكذا يخرب هذا الداعية (الوسطي) عقول الشيوخ والشباب من أبناء المسلمين، وكل ذلك من أجل إظهار اعتداله واحترامه (لكل) الآراء.

٣) رئيس الفريق البرلماني لحزب إسلامي مغاربي كبير، يتبجح قائلا: "لا بد من التمايز في المجالات والرموز والخطاب **لأنه ليس مطلوبا مني كسياسي استحضار الآيات في ممارستي السياسية،** بقدر ما أنا مطالب بتطبيق القانون والتشريع"!

هذا الإسلامي (الوسطي) قطع ثلاثة أرباع الطريق نحو العلمانية، ويبقى له الربع، ربما في القريب العاجل، ونتمنى ألاّ يفعل.

٤) حزب إسلامي كبير، يتصدر الانتخابات في بلده، صوّت نوابه بالموافقة على قرار يسمح بتخفيض (أسعار الخمور) خدمة للشعب المسكين! وقالت قيادية في هذا الحزب الإسلامي (الوسطي المعتدل) في تصريحات صحفية: "الفصل الذي صوت عليه أعضاء الحركة يتضمن سلعًا أساسية أخرى ومنتجات تمس المواطن البسيط بشكل مباشر مثل عصير الفواكه **والخمور** وزيوت البترول".

يا له من فتح مبين للحزب (الوسطي المعتدل). ونسأل: ما هي صفة هذا الحزب الآن: إسلامي أم ليبرالي أم علماني أم ...؟

٥) فقيه كبير وداعية مشهور، أبدى سروره بفوز دولة قطر بتنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم للعام ٢٠٢٢م، وقال: "إنني لا أهتم بكرة القدم، لأني عادة أهتم بما لا يهتم به الناس، أذّكر بالمنسيات، أنبّه عما غفل عنه الناس، والناس مهتمون بالكرة أكثر من اللازم".

وقال: "جلست أرى ما يراه أهل قطر من إعلان الفيفا (الاتحاد الدولي لكرة القدم) بالفائز، قطر تتنافس مع أمريكا، فأخذتني الحمية وقلت ربنا يسقط أمريكا، **وانتصرنا، ولأول مرة ننتصر على أمريكا**".

نعم، عندنا رغبة عارمة في الانتصار على أمريكا، ولكن هل اختيار قطر لا أمريكا لبطولة الفيفا يُعتبر انتصارا؟

٦) عالم من كبار العلماء، ومن أشهر رواد الصحوة الإسلامية، يترحم على البابا (يوحنا بولس) الهالك عام ٢٠٠٨م، فيقول: **"لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدَّم من خير للإنسانية وما خلّف من عمل صالح أو أثر طيب"**.

أي عمل صالح، وأي أثر طيب يمكن أن يخلّفه نصراني متعصب، وقائد الصليبية المعاصرة، ورمز الشرك بالله تعالى؟

نموذج صارخ: الشيخ عبدالفتاح مورو

الشيخ عبدالفتاح مورو، حفظه الله وغفر له، له تاريخ حافل من العطاء والتضحيات، وعلى مدى ستة عقود، ثم يُقدم -من حيث يدري أو لا يدري- على الإساءة لهذا التاريخ الحافل. والشيخ رمز إسلامي شهير، وأحد القادة التاريخيين لحركة النهضة التونسية الإسلامية العريقة.

في عام ٢٠١٧م، ظهر عبدالفتاح مورو في برنامج تلفزيوني سخيف، يديره مجموعة من المنحلين، وهو بلباس أشبه بالمهرج، وقام بأداء فقرة تمثيلية باردة سخيفة، وسط تصفيق شلة الحضور، وكلهم -رجالا ونساء- ممن لا دين لهم ولا خلاق. فعل كل ذلك في سبيل ماذا: أن يظهر للناس أن عالم الدين المسلم رجل تسامح واعتدال، لا تطرف وانعزال! أهذا هو الثمن الذي يدفعه العلماء والدعاة في سبيل نشر الوسطية الإسلامية؟!

ويواصل صاحب الفضيلة إظهار تسامحه واعتداله بكل جدارة: في فبراير ٢٠٢١م، حضر الشيخ حفل زفاف جرى فيه ما جرى من عري ورقص! فقام الشيخ الجليل بوصلة رقص مع العروس، ممسكا بيديها بكل حنان و(وسطية واعتدال)! وهي بكامل زينتها، ونصف عارية.

امرأة لا يحل له أن يلامسها مجرد ملامسة، يقوم فضيلته بالرقص معها استجابة لرغبتها ورغبة والدها! أين هيبة الشيوخ والعلماء، أين وقار الدعاة وأهل الصلاح؟ أهكذا نحافظ على الدين في مواجهة العلمانية والحداثة؟

هل بدأت العلمنة تغزو عقول وضمائر شرائح من الإسلاميين!

يبدو أننا نحتاج اليوم إلى (الوسطية في تطبيق الوسطية)..

"رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا"..

"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك". (رواه الترمذي).

فضيلة الشيخ يُظهر اعتداله عام ٢٠١٧م

وفي عام ٢٠٢١م

القضية الثالثة

الإسلاميون والسياسة: أين المشكلة؟

الإسلام منهج متكامل، وتشريع شامل لكل مجالات الحياة، فهو إيمان وعمل، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكر وعاطفة، أخلاق وعمران.

إن الإسلام له منهجه الاقتصادي الكامل ومنهجه السياسي الكامل، ومنهجه الإصلاحي الكامل في كل مجالات الحياة، ذلك المنهج الذي يحقق للإنسان السعادة في الدنيا، ولا ينسى معاده في الآخرة.

وبعض الحركات الإسلامية الكبرى تتبنى هذا النهج الإسلامي الشامل في دعوتها للناس، وتتعامل مع الشأن السياسي كما تتعامل مع سائر المجالات الأخرى، ولكن المشكلة تكمن في طريقة التعاطي مع الجانب السياسي، وطريقة التعامل مع المشكلات السياسية العويصة والمعقدة، ومدى القدرة على مواجهة المؤامرات والدسائس التي تحاك ضد الإسلاميين من الداخل والخارج. وقد أظهرت الأحداث والمستجدات السياسية في العالم العربي، ومنها ثورات الربيع العربي، مدى ضعف القدرات السياسية لقادة العمل الإسلامي في عدة دول عربية، وظهر البون الشاسع بين عالم السياسة فكرا وتنظيرا، وعالم السياسة ممارسة وتطبيقا.

الإسلاميون والدهاء السياسي

تُعرّف السياسة بأنها "فن الممكن"، وبالتالي: فإن السياسي الداهية -حسب هذا التعريف- هو الذي يتبع كل الطرق للوصول إلى أهدافه، بغض النظر عن الحلال والحرام، وهذا تعريف ميكيافيللي بحت، يبتعد عن مفهوم السياسة الشرعية في الإسلام.

أما الدهاء السياسي من منطلق إسلامي وإنساني فقد عرّفه مفكر إسلامي معاصر[٥] كما يأتي:

"**رزانة العقل، وقوة البصيرة، وحدّة النظر في الأمور، وسعة الحيلة، وحسن التخلص في العظائم، والقدرة على حل المشكلات**". وكل ذلك ليصب في مصلحة الإسلام والمسلمين.

ومن هنا، جاء وصف أربعة من كبار الشخصيات في الإسلام بـ "الدهاة"، فقيل: دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وزياد ابن أبيه، والمغيرة بن شعبة، رضي الله عنهم. ونضيف إلى التعريف السابق، هذه الخصال:

- إجادة فن اللعب مع الكبار.

- إجادة فن استخدام أوراق القوة.

- القدرة على الخروج من الصراع **بأكبر قدر ممكن من المكاسب**، وفي حالة الضعف: القدرة على الخروج من الصراع **بأقل قدر ممكن من الخسائر**.

- القدرة على المناورة، **والتراجع خطوة واحدة أحيانا في سبيل التقدم عدة خطوات لاحقا.**

- امتلاك الوعي الكافي بكل من المحيط المحلي، والإقليمي، والدولي.

- المعرفة التامة بقدرات الخصم ونقاط القوة والضعف لديه.

- امتلاك المناعة ضد الاستغفال والاستدراج من قِبَل العدو.

- لا يلدغ من جحر مرتين.

هذا هو "السياسي الداهية".. يا تُرى: كم من قادة العمل الإسلامي المعاصر يتصف بهذه الصفة؟!

---

[٥] **هو المفكر العراقي الدكتور طه حامد الدليمي.**

مثال: حزب العدالة والتنمية المغربي

نبدأ بعرض نتائج الانتخابات النيابية المغربية خلال العقدين الماضيين، وترتيب الحزب في هذه الانتخابات:

السنة	عدد المقاعد	الترتيب
٢٠٠٢م	٤١	الثالث
٢٠٠٧م	٤٢	الثالث
٢٠١١م	١٠٧	الأول
٢٠١٦م	١٢٥	الأول
٢٠٢١م	**١٣**	**الثامن**

هزيمة ساحقة بكل المقاييس، تعرض لها أكبر حزب إسلامي في المغرب، بل في عموم شمال أفريقيا. إنها هزيمة غير طبيعية أن يتراجع ترتيب الحزب من الأول إلى الثامن، وعدد مقاعده من (١٢٥) إلى (١٣). كيف حدث ذلك، ولماذا؟

يجب أن ندرك طبيعة النظام الذي يحكم المغرب: إنه نظام ملكي مطلق، بلباس ديمقراطي رقيق!

النظام السياسي الحاكم، ليس بعيدا عما أصاب حزب العدالة والتنمية. وهذا النظام لم يكن بحاجة إلى "تزوير فاضح" ليضرب الحزب في مقتل، فقد نحر الحزب نفسه بنفسه، وأساء إلى تاريخه، وانقلب على مبادئه، وأصبح بلا هوية واضحة.

قبل أن يصبح رئيسا للوزراء بسنوات، كان الدكتور سعد الدين العثماني قد **كتب مقالا ضد التطبيع عنوانه: "التطبيع إبادة حضارية"!**[٦] ثم في ديسمبر ٢٠٢٠م وقّع -هو بشحمه ولحمه- على اتفاقية التطبيع المشئومة مع الكيان الصهيوني المجرم **فأباد نفسه حضاريا وفكريا!**

---

[٦] **قال ذلك في مجلة (الفرقان) عام ١٩٩٦م.**

هذا ما قاله العثماني عام ١٩٩٦م

التطبيع إبادة حضارية

بقلم د. سعد الدين العثماني

يبدو أن الصراع بين الكيان الصهيوني والأمة العربية والإسلامية يأخذ أشكالا مختلفة ويسير بمسارات معقدة مع مرور الزمن. ويبدو أن الكيان الصهيوني يحاول اجراء قفزة نوعية تكسبه تقدما ساحقا على الطرف العربي والإسلامي وتمكنه من تحقيق أهدافه المركزية وفي مقدمتها التفوق الأمني والعسكري والاقتصادي الساحق في المنطقة لتهيئة إسرائيل الكبرى الحلم المعروف للصهيونية.

يأتي التطبيع كأفضل أداة تفتق عنها الفكر الصهيوني ، فهو شرط يضعه في المقدمة لكل اتفاقية سلام "فلا سلام عندهم بدون تطبيع سياسي وثقافي واقتصادي وإلا فهو الحرب ! بذلك يصرح زعماء الكيان الصهيوني باستمرار وعلى ذلك يؤكدون في كل وقت وحين .

و التطبيع كما يتحدث عنه ليس هو ـ بطبيعة الحال ـ ماتعنيه الكلمة حقيقة. فالمعنى المتبادر إلى الذهن من كلمة التطبيع هو إعادة العلاقات إلى حالتها الطبيعية والعادية بين طرفين مختلفين أو متصارعين. مما يستلزم إنصاف المظلوم ورد الحقوق وإعادة الأمور إلى حالتها الطبيعية. لكن الأمر يتعلق في الحقيقة بمطالبة المظلوم الطهارة بمصالحة الظالم بإعطائه مزيدا من الامتيازات. ومن ثم يكون المقصود بالحديث عن التطبيع هو محاولة إنشاء شرعية وهمية على إقامة علاقات ذات طابع خاص ». ومن ان التحدث الصهيوني ماض ومصر على رفض تطبيق حتى تلك الاتفاقات التي وقعها بنفسه وبراعيل بعقب سياسات التهويد و التطريق والتجويع ضد الشعب الفلسطيني و عمليات مصادرة الأراضي وهدم المساكن وقتل الأبرياء وإقامة المزيد من المستوطنات الصهيونية ..

وهكذا جعلت تصرفات الكيان الصهيوني كل الذين وقعوا معه اتفاقيات "السلام" و"التطبيع" في حرج كبير واضطرتهم إلى التراجع عن التسلسل والتلويح بالعودة إلى نقطة البدء قبل اتفاق (غزة ـ أريحا أولا)، ويعبر عن ذلك الإحباط وتلك الحيرة بوضوح قرار مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية وهو القرار رقم 107 والذي نص من بين قراراته على ما يلي :

(إيقاف خطوات التطبيع التي جرى اتخاذها مع إسرائيل في إطار عملية السلام الجارية وإيقاف التعامل معها بما في ذلك إغلاق المكاتب و البعثات حتى تتصاع إسرائيل لمرجعية مؤتمر مدريد ومبدأ « الأرض مقابل السلام » وتنفيذ الاتفاقات والتعهدات والالتزامات التي توصل إليها الأطراف المعنيون على كل المسارات خلال محادثات السلام).

والحقيقة أن الجامعة العربية اليوم غير قادرة على وقف ما يسمى بمسلسل التطبيع لأن هناك شكا في أن قادتها يملكون القدرة على فعل شيء في هذا المجال والدليل عليه أنه لم تعلن أي من الدول العربية إغلاق مكتب اتصال ولا الاستغناء عن بعثة للكيان الصهيوني عندها . كما أن نشاط الكثير من الصهاينة مزدوجي الجنسية داخل هذه الدول

والعثماني يوقّع على اتفاقية التطبيع عام ٢٠٢٠م

لقد مثّل الجانب الصهيوني في اجتماع التوقيع أحد المستشارين الصهاينة، فلماذا لم يمثّل الجانب المغربي مسئول بنفس المستوى؟ لماذا العثماني تحديدا؟ لقد أرادوا أن يحرقوه حرقا، وقد فعلوا!

ليست قضية التطبيع هي المسألة الوحيدة التي أردت بحزب العدالة والتنمية:

١) ففي يوليو عام ٢٠١٩م وافق الحزب على قانون العار الذي سمي بـ"فرنسة التعليم"، الذي يعود بالمغرب إلى أيام الاستعمار الفرنسي المباشر.

٢) وفي عام ٢٠١٥م، أثار حزب العدالة والتنمية غضب قطاعات واسعة من الشعب المغربي، وخاصة المتدينين والمحافظين. إليكم هذا الخبر المخزي:

"لا يكف مهرجان (موازين)، الذي يقام سنوياً بموعده الصيفي تحت شعار (إيقاعات العالم)، عن خلق الجدل داخل المغرب. فاندلعت موجات غضب من المواطنين المغاربة، منذ ليلة افتتاح المهرجان بصعود جينيفر لوبيز بـ(البكيني) على منصة حفل افتتاح الدورة الرابعة عشرة. وأضرم فتيلها، مساء أمس، المغني البريطاني وعازف الغيتار ستيفان أولسيدال، خلال حفل فرقته بلاسيبو الشهيرة بالمهرجان. ستيفان أولسيدال، وفي خطوة أرادها احتجاجية على تجريم المثلية الجنسية في المملكة المغربية، قام بتوجيه رسالة ضمنية تطالب بإلغاء البند ٤٨٩ من القانون الجنائي المغربي، الذي يجرّم (كل مجامعة على خلاف الطبيعة يعاقب عليها بالحبس، من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات). وأمام جمهور بلغ عشرات الآلاف، كتب أولسيدال رقم البند على صدره العاري مشطوباً عليه بخطين متقاطعين، فيما لوّن غيتاره بالألوان التي ترمز عالمياً إلى علم خاص بالمثليين جنسياً".[٧]

٣) ونستميحكم عذرا ونحن نورد هذا الخبر:

"كشف تقرير جديد أنجزته وزارة الصحة عن وجود ما يقارب ١٩ ألف عاملة جنس في مدن الرباط وأغادير وطنجة وفاس، احتلت خلاله العاصمة الإدارية الصدارة بـ٧٣٣٣ عاهرة. وأورد التقرير ذاته، بحسب الموقع المغاربي "هوفين

---

[٧] مقال على موقع (العربي الجديد) بعنوان (غضب شعبي من مهرجان موازين بسبب التعرّي والمثلية الجنسية)، بتاريخ ٣ يونيو ٢٠١٥م.

بوست وغرب" أن ٢% فقط من بين ١٩ ألف عاملة جنس، متزوجات، فيما أغلبهن مطلقات أو أرامل، منقطعات عن الدراسة في مرحلة التعليم الإعدادي، مشيرا نفس التقرير إلى أن ما بين ٥٠ و٨٠ في المائة منهن يُعِلن أشخاصا آخرين".[٨]

ماذا فعل حزب العدالة والتنمية، وهو يتصدر الوزارة طوال عشر سنوات، من أجل حلّ هذه المشكلة الاجتماعية والأخلاقية الفظيعة، أو التقليل منها على الأقل؟

٤) والتطبيع الذي أصبح (رسميا) في ديسمبر ٢٠٢٠م، واقع عمليا منذ سنوات سابقة، وفي ظل حكومة حزب العدالة والتنمية:

"قالت صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية إن النشرة الشهرية لوزارة خارجية الاحتلال ذكرت أمس الثلاثاء أن وفدا من المسؤولين المغاربة وشخصيات عالية المستوى سيزور إسرائيل في نهاية الشهر المقبل، وذلك بعد أسابيع من زيارة مماثلة **لوفد من الصحفيين** المغاربة وزيارة حالية **لوفد تربوي**. وذكرت الصحيفة الإسرائيلية أن وفدا مغربيا يضم ناشطين في **مجال التعليم والثقافة** سيحل بإسرائيل في ٢٨ ديسمبر المقبل، ونقلت الصحيفة عن متحدث باسم الخارجية الإسرائيلية أن تفاصيل إضافية سيكشف عنها عند اقتراب موعد زيارة الوفد المغربي. وسيكون هذا الوفد ثالث وفدا يزور إسرائيل من المغرب في غضون شهرين، ففي وقت سابق من هذا الشهر رعت وزارة الخارجية الإسرائيلية زيارة امتدت لأسبوع لعدد من الصحفيين المغاربة".[٩]

ماذا تفعل وفود تربوية وثقافية وإعلامية في إسرائيل يا حزب العدالة والتنمية؟!

٥) هل ساهم الحزب في رفع المعاناة المعيشية عن الشعب المغربي؟

"يحتج السكان في جنوب المغرب على الانقطاع المتكرر للمياه عبر تنظيم ما يعرف باسم (مسيرات العطش)، وباتت هذه المشكلة تتصدر اهتمامات الحكومة، حتى أن الملك نفسه أبدى قلقه من (الأمن المائي) في البلد. ويقول عثمان رزقو، رئيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان في زاكورة، كبرى مدن الجنوب التي تعاني من

---

[٨] **موقع (بديل)، بتاريخ ٢٦ مايو ٢٠١٥م.**
[٩] **موقع (مفكرة الإسلام)، بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦م.**

أزمة مياه شديدة، إن: العيش بلا ماء مثل العيش في جهنم. ويقول جمال أقشباب، رئيس جمعية أصدقاء البيئة في زاكورة الذي تم الاتصال به هاتفيا، إن: الحالة خطيرة، الناس يعانون يوميا. ويعيش في زاكورة على مشارف الصحراء على بعد ٧٠٠ كيلومتر من العاصمة أكثر من ٣٠ ألف شخص".[١٠]

٦) وانظروا إلى مصير اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، في ظل حكومة حزب العدالة والتنمية (الإسلامي):

"أعلنت الوزيرة المنتدبة المكلفة بالبيئة في المغرب، حكيمة حيطي، **أن حديثها باللغة العربية يسبب لها (ارتفاعاً في درجة حرارة جسمها!)**.[١١] ففي ندوة صحافية في الصخيرات، أجابت الوزيرة المغربية باللغة الفرنسية، وحاولت التهرب من الإجابة بالعربية، بحضور عشرات من الصحافيين، مبدية (تأففها من التحدث بالعربية) كلغة. **وهي الوزيرة الثانية، في الحكومة المغربية الحالية، التي تتهرب من الحديث بلغة الدستور، بعد وزير التربية والتعليم، الذي رفض أن يجيب صحافياً مغربياً بالعربية**. ولا يزال المغرب يعيش جدلاً لغوياً بين المدافعين عن اللغة العربية، كلغة للدستور ولكل المغاربة، وبين التيار الفرانكفوني القوي اقتصادياً في المغرب، المدافع عن ترسيم العامية كلغة رئيسية وأساسية في البلاد".[١٢]

كل هذه (البلاوي) كانت تجري في ظل الحكم (الموهوم) لحزب العدالة والتنمية (الإسلامي).

بالله عليكم، هل ما زال هؤلاء "إسلاميون".. أم "علمانيون".. أم "ضائعون".

ترأس الحزب الحكومة لمدة عشر سنوات، فلا خبر جاء ولا وحي نزل. أما الدكتور سعد الدين العثماني، **فقد "وَقَعَ" يوم "وَقّع"!** غفر الله له.

هكذا استطاع النظام الحاكم أن يُخرج أكبر حزب سياسي مغربي من الساحة: بدأ بضربات خفيفة، وبالتقسيط المريح! حتى جاءت الضربة القاضية عام ٢٠٢١م.

---

[١٠] جريدة (رأي اليوم) المغربية، بتاريخ ١٣ أكتوبر ٢٠١٧م.
[١١] ونقول لها: "قل نار جهنم أشدّ حرا".
[١٢] موقع (العربية نت)، بتاريخ ٣ يونيو ٢٠١٥م.

نسأله تعالى أن يوفق القائمين على حزب العدالة والتنمية أن يقوموا بمراجعات جادة لاستخلاص الدروس والعبر، وأن يبدؤوا من جديد. الأخطاء تحصل، وإن كانت كارثية، ولكن المصيبة كل المصيبة تكرار الخطأ مرة بعد مرة.

روى البخاري ومسلم رحمها الله، عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحد مرتين".

ونختم هذا الفصل بكلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"**المؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة، كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة،** فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة والتي يراد إيقاعها في الكتاب والسنة ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو دونه، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما، فإن من لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الدين لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح".[١٣]

مثال: الشيخ أحمد الريسوني

ثلاث سلبيات خطيرة تعاني منها قيادات الحركات الإسلامية المعاصرة: ضعف القدرات السياسية، وتكرار خوض "المعركة الخطأ في الملعب الخطأ"، والقابلية للاستدراج والاستغفال من قبَل الغير.

أصبح الشيخ الدكتور أحمد الريسوني حفظه الله حديث الساحة بعد المقابلة المطولة التي أجرتها معه إحدى القنوات المغربية في أغسطس ٢٠٢٢م، وأدلى خلالها بتصريحات سببت كثيرا من الإرباك والغضب على الساحة العربية عموما، والمغاربية خصوصا.

---

[١٣] تقي الدين ابن تيمية: قاعدة في المحبة، ص١١٩.

تكلم الشيخ عن المملكة المغربية التي "كانت دولة عظمى"، وذكر كلاما مفاده أن موريتانيا بأكملها والأجزاء الغربية من الجزائر (وحدد منطقة تندوف) هي جزء من المغرب.

الشيخ الريسوني، المتخصص في "فقه المقاصد"، سبب للناس عموما، وللإسلاميين خصوصا إرباكا شديدا حول "مقاصده" من هذه التصريحات. فعلى اعتبار الحدود التاريخية، وبحسب "المنطق الريسوني"، فإن على مصر أن تطالب بالسودان، لأنها السودان كان جزءا من مصر حتى عام ١٩٥٦م، وبإمكان سوريا أن تطالب بلبنان والأردن، بل وبإمكان تركيا أن تطالب بأراضي حوالي (٣٠) دولة، لأن (عظمة) تركيا أكبر بكثير تاريخيا من (عظمة) المغرب التي يتغنى بها الريسوني!

ثم ما هذا الكلام الغريب عن "الجهاد" و"الزحف" إلى تندوف؟ أليس الأولى أن يكون "الزحف" نحو سبتة ومليلة، الخاضعة للاستعمار الإسباني منذ خمسة قرون؟ هل أضاع العالِم المقاصدي الكبير البوصلة؟

توالت الردود الرزينة والمنطقية على هذه التصريحات من قِبَل بعض كبار الشخصيات الإسلامية، مثل الدكتور عبدالرزاق مقري رئيس "حركة مجتمع السلم" الجزائرية، التي تنتمي إلى نفس المدرسة الدعوية التي ينتمي إليها الريسوني! والشيخ علي بلحاج، الرمز الإسلامي الجزائري المعروف، والدكتور وصفي عاشور أبو زيد، العالم والمفكر المصري المعروف، ...إلخ.

هل أصبح الإسلاميون في بعض الدول العربية جزءا من المناكفات والخصومات السياسية بين الأنظمة الحاكمة؟

لقد تعرضت الحركة الإسلامية المغربية لضربة قاضية في المجال السياسي بعد انتخابات ٢٠٢١م، عندما هبطت مقاعدها في البرلمان من (١٢٥) إلى (١٣)! وجاءت تصريحات الريسوني لتقضي على البقية الباقية.

إن الإشكال الأكبر هنا بالنسبة للإسلاميين هو إمكانية اندلاع الخصومات بين إسلاميي المغرب والجزائر، **الذين ينتمون إلى نفس المدرسة الدعوية! مع أن أدبيات هؤلاء الإسلاميين حافلة بالدعوة إلى الوحدة العربية، والأخوة الإسلامية،**

والدعوة إلى "عودة الخلافة الإسلامية"! وأصبح لسان حال الجمهور المسكين: "فاقد الشيء لا يعطيه".

مقولة منسوبة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لست بالخِب ولا الخِب يخدعني"، أي لست بالذي يمكر بالناس، ولا يستطيع أحد أن يمكر بي.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نُستدرج أو أن نُستغفل.

ملحق: مؤهلات السياسي البارع

القضية الرابعة

السياسة المعاصرة واستدعاء التصوف

لا نهدف في هذا الفصل إلى استعراض الانحرافات العقدية والفكرية للصوفية، ولا تاريخ التصوف بالتفصيل، ولكن نستعرض بعض هذه الأمور باختصار شديد، كتوطئة للموضوع الرئيس: الاستدعاء السياسي المعاصر للتصوف.

نشأة التصوف

في القرن الثاني الهجري، في عهد التابعين، ظهرت طائفة من العبّاد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحوٍ لم يُعهد من قبل.

وفي العصر العباسي، تلتهم طبقات من الزهاد خلطت الزهد بالعبارات الباطنية، وانتقل الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري.

ثم اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار وعقائد منحرفة كليا كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود.

ومن مشاهير هذا التصوف المنحرف: الحسين بن منصور الحلاج، ومحيي الدين بن عربي، وجلال الدين الرومي، وابن سبعين، وابن الفارض.. إلخ.

من عقائد الصوفية

١) القول بالحلول والاتحاد (أي أن الخالق يحل في المخلوق)..

٢) الاعتقاد بوحدة الوجود (أي أن الخالق هو عين المخلوق)..

٣) من مصادر التلقي عندهم :

- الكشف، ويكون من الرسول ﷺ، والخضر..
- الإلهام، وهو ما يكون من الله تعالى مباشرة (حدثني قلبي عن ربي)!
- الرؤى والمنامات..

٤) الغلو في الرسول ﷺ إلى درجة التأليه..

٥) الغلو في الصالحين والأولياء. يروون عن بعض مشايخهم: "خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله"!

٦) تقديس المزارات والأضرحة والقبور..

٧) تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة (الشريعة: هي الظاهر من الدين وهي الباب الذي يدخل منه الجميع. والحقيقة: هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار من الأولياء)!

٨) تقديس المريد للشيخ (تمجيده .. التبعية الكاملة له .. عدم الاعتراض عليه ولو أتى فِعلاً حرامًا أو أقوالاً مخالفة للشريعة .. التوقف عن فعل المعروف إذا أمره شيخه بذلك)..

٩) الانحراف بمفهوم الذكر والاستغفار وإدخال البدع الشنيعة عليه سواء كانت هذه البدع قولية أم فعلية.

إليكم بعضا من صور الذِكْر (الراقص) للصوفية:

ذِكْر صوفي في الكويت!

ذِكْر صوفي في المغرب!

ذِكْر صوفي في مصر!

ذِكْر صوفي في تركيا!

ماذا نقصد باستدعاء التصوف؟

محاولات دولية وعربية لإعادة الجماعات الصوفية إلى الساحة الإسلامية، وتأهيلها وتشجيعها لتكون بديلا عن الحركات الإسلامية (المسيسة)، وإظهارها بمظهر الإسلام الوسطي المعتدل.

دور مؤسسة (راند)

هي منظمة بحثية اشتق اسمها من اختصار كلمتي "الأبحاث والتطوير"، أي (Research and Development) التي يقع مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأميركية. تعود نشأتها إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتحديدا عام ١٩٤٦م، حيث تأسست بإشراف سلاح الجو الأمريكي، وبعد النجاح الذي أدى به المعهد دوره في خدمة صنّاع القرار في سلاح الجو الأمريكي ارتأت الإدارة الأمريكية توسيع نشاطه ليشمل فروع القوات المسلحة كافة ومن ثم أجهزة الدولة كلها.

ويعود اهتمام راند بالإسلام وما أسمته بـ "الخطر الإسلامي" إلى عام ١٩٩٩م، أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بنحو عامين، حين أصدرت كتابا بعنوان "مواجهة الإرهاب الجديد"، وقد أعدته مجموعة من الخبراء الأمريكيين.

تبلغ ميزانيتها السنوية قرابة ١٥٠ مليون دولار، ويعمل في المؤسسة ما يقارب ١٦٠٠ باحث وموظف يحمل غالبهم شهادات أكاديمية عالية.

وتعتبر مؤسسة راند أحد أهم المؤسسات الفكرية المؤثرة على صناعة القرار في الإدارة الأميركية، خاصة فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط.

أهم تقارير المؤسسة:

١) مواجهة الإرهاب الجديد، عام ١٩٩٩م.

٢) العالم الإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر، عام ٢٠٠٤م.

٣) الإسلام المدني الديمقراطي: الشركاء والموارد والاستراتيجيات، عام ٢٠٠٥م.

٤) أما التقرير الأخطر الذي قدمته مؤسسة راند فكان بعنوان: "بناء شبكات الاعتدال الإسلامي"، عام ٢٠٠٧م، وأثار ضجة حينها وكان يهدف إلى رسم خطة متكاملة للسياسة الأمريكية في العالم أجمع وخاصة منطقة الشرق الأوسط، وقد قدم تعريفا أمريكيا خالصا لمفهوم الاعتدال، فالمسلم المعتدل هو من يرفض الشريعة، ويؤمن بالعلمانية!

بالإضافة إلى مؤسسة راند، فإن هناك مؤسسات أخرى ساهمت أيضا في إبراز الإسلام الصوفي كبديل للإسلام (السياسي). انظر الجدول:

نماذج من الدراسات الأمريكية التي تناولت الإشارة للصوفية كبُعد استراتيجي للولايات المتحدة	
الجهة	**الفعالية**
مؤسسة راند	**عام ٢٠٠٥م ـ دراسة بعنوان: الإسلام المدني الديمقراطي**
مركز نكسون للدراسات	**عام ٢٠٠٤م ـ مؤتمر بعنوان: فهم الصوفية ودورها المحتمل في سياسة الولايات المتحدة**
معهد الولايات المتحدة للسلام	**عام ٢٠٠٥ ـ دراسة بعنوان: الإسلام السياسي في إفريقيا جنوب الصحراء**
مؤسسة راند	**عام ٢٠٠٧م ـ دراسة بعنوان: بناء شبكات إسلامية معتدلة**
مؤسسة كارنجي للأبحاث	**عام ٢٠٠٧م ـ دراسة موسعة: الصوفية في آسيا الوسطى**
مؤسسة راند	**عام ٢٠٠٩ ـ دراسة بعنوان: الإسلام الراديكالي في شرق إفريقيا**

مظاهر الاستدعاء.. عرض سريع

- **١٩٩٠م:** الشيخ محمد هشام قباني، صهر الشيخ ناظم حقاني (ت ٢٠١٤م) زعيم النقشبندية يهاجر إلى أمريكا ويؤسس (المجلس الإسلامي الأعلى) ويصبح على صلة مباشرة بالإدارة الأمريكية. استطاع قباني أن يؤسس ٢٣ مركزا ومدرسة في أمريكا للطريقة النقشبندية.
- **١٩٩٦م:** الصوفي الأمريكي حمزة يوسف (مارك هانسن) يؤسس (كلية الزيتونة) في كاليفورنيا، أمريكا.

- **١٩٩٩م:** الصوفي الماسوني التركي فتح الله كولن يستقر في أمريكا.
- **أكتوبر ٢٠٠١م:** الصوفي حمزة يوسف يُعيّن مستشارا للبيت الأبيض للعلاقات مع العالم الإسلامي.
- **٢٠٠٢م:** في المغرب، تعيين أحمد التوفيق وزيرا للأوقاف والشئون الإسلامية، وهو من مريدي الطريقة القادرية البودشيشية. وهو يشغل هذا المنصب إلى الآن!
- **أبريل ٢٠٠٣م:** عقد المؤتمر العالمي للطريقة الشاذلية، بالتعاون مع اليونيسكو.
- **أكتوبر ٢٠٠٣م:** استضاف (مركز نيكسون) في واشنطن مؤتمر "برنامج الأمن الدولي لاستكشاف مدى دور الصوفية في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية"! كان ضيفا الشرف في هذا اللقاء البروفيسور اليهودي المتطرف برنارد لويس والشيخ محمد هشام قباني نائب زعيم الجماعة الصوفية النقشبندية.
- **يناير ٢٠٠٤م:** تأسيس "الأمانة العليا للإفتاء والتدريس والبحوث والتصوف الإسلامي" في العراق.
- **ديسمبر ٢٠٠٤م:** المؤتمر العالمي الأول للطرق الصوفية بغرب أفريقيا.
- **٢٠ أغسطس ٢٠٠٥م:** الشيخ الصوفي علي الجفري يؤسس "مؤسسة طابة" في أبو ظبي.
- **نوفمبر ٢٠٠٥م:** السفير الأمريكي في القاهرة فرانسيس ريتشارد دوني يتقرب من الصوفية، ويشارك في احتفالات الصوفية بمولد السيد البدوي في طنطا.
- **٢٠٠٥م:** السفير الأمريكي في المغرب توماس رايلي يتقرب من الصوفية، ويحضر احتفال المولد النبوي الذي أحيته الطريقة القادرية البودشيشية.
- **ديسمبر ٢٠٠٧م:** الشيخ الصوفي عبدالله بن بيه يؤسس "المركز العالمي للتجديد والترشيد" في لندن.
- **٢٠٠٩م:** الصوفية يؤسسون مشروع "متحدون من أجل التغيير" برئاسة الصوفي الأمريكي زيد شاكر (ريكي ميتشل).
- **٢٠٠٩م:** إطلاق "قناة الصوفية" في القاهرة.
- **يوليو ٢٠٠٩م:** وجهت السفيرة الأمريكية بالقاهرة (مارجريت سكوبي) الدعوة إلى تسع طرق صوفية في مصر وهي الطرق: الشبراوية والعزمية والجازولية

والسطوحية والشهاوية والقادرية والنقشبندية والبرهامية والشاذلية، لحضور الاحتفال بعيد الاستقلال الأمريكي.

- **فبراير ٢٠١٠م:** إرسال السفارة الأمريكية مندوبا عنها وهو مستر (روجر كينا) مسئول الشئون الثقافية بالسفارة الأمريكية ليقدم لمشايخ الطرق الصوفية تهاني السفيرة الأمريكية بمناسبة المولد النبوي.
- **أبريل ٢٠١٢م:** الشيخ الصوفي علي جمعة والشيخ الصوفي علي الجفري يفتتحان "كرسي الغزالي" في القدس.
- **يونيو ٢٠١٢م:** الشيخ علي الجفري يزور بريطانيا ويلقي محاضرة في جامعة لندن.[١٤]
- **أكتوبر ٢٠١٣م:** في فرنسا، تأسيس "المنظمة الصوفية العالمية"، بمشاركة قادة الصوفية بتركيا وإيران وباكستان والمغرب والجزائر وتونس وليبيا.
- **ديسمبر ٢٠١٣م:** في الجزائر، تأسيس "الجمعية الجزائرية للزوايا والثقافة الصوفية".
- **١٤ مارس ٢٠١٤م:** في أبو ظبي، عقد "منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة". سيطر على الحضور التوجه الصوفي (٢٥٠ مشارك وثلاثين ورقة). وقد هاجم الشيخ عبدالله بن بيه مؤسستي الفتيا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية.
- **مايو ٢٠١٤م:** الشيخ علي الجفري يلقي سلسلة محاضرات في ثكنات الجيش المصري وكلياته الحربية والبحرية والدفاع الجوي وكلية ضباط الاحتياط.
- **١٩ يوليو ٢٠١٤م:** أعلن في أبو ظبي عن تشكيل هيئة دولية مستقلة تهدف إلى تعزيز السلم الأهلي تحت مسمى "مجلس حكماء المسلمين"، برئاسة مشتركة بين شيخ الأزهر أحمد الطيب وعبد الله بن بيه.
- **٢٤ سبتمبر ٢٠١٤م:** الرئيس الأمريكي باراك أوباما، ضمن خطاب له، يستشهد بكلمات للشيخ عبدالله بن بيه.

---

[١٤] **بينما كان العلاّمة الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله ممنوعا من زيارة بريطانيا وفرنسا!**

- **أغسطس ٢٠١٤م:** الشيخ الصوفي العراقي أحمد الكبيسي، يتهم الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بأنه "صناعة يهودية".
- **أغسطس ٢٠١٦م:** عقد مؤتمر في غروزني عاصمة الشيشان تحت مسمى "مؤتمر أهل السنة والجماعة"، برعاية رئيس الشيشان رمضان قديروف. غلب التوجه الصوفي على المؤتمر، وكان من بين أبرز الحضور علي جمعة وأحمد الطيب وشوقي علاّم (مفتي مصر) وعبدالهادي القصبي (شيخ مشايخ الطرق الصوفية) وعلي الجفري.

السفير الأمريكي فرانسيس دوني مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية الأسبق الشيخ حسن الشناوي (٢٠٠٥م)

اجتماع محمد هشام قباني مع نائب الرئيس الامريكي ديك تشيني

لماذا التصوف؟

"دينياً: يتصور الغرب، وأمريكا على وجه الخصوص، أن الصوفية أكثر الفئات المسلمة تساهلاً في اتباع السنّة وأعلاها احتفاء بالمبتدعات وأقلها في جانب تطبيق النصوص المنادية بالعمل بفهم السلف الصالح، ولذا يعتبرونهم غير متشددين في التطبيق والممارسة، بينما يشيدون بما يتميز به الفكر الصوفي من تقديس الأضرحة والمشايخ وحب الإنشاد والميل للطقوس الاحتفالية والموالد، فهي أمور يرتضونها ويعتبرونها ممثلاً للإسلام (الوسطي)! وهم على استعداد لدعم انتشارها وترويجها في المجتمعات الإسلامية..

وهذا بالطبع مردّه إلى أن النصرانية واليهودية لا ترغبان في وجود أمة إسلامية قوية في عقيدتها وارتباطها بربها ونبيها حتى تسهل مهمتهما بين المسلمين..

سياسياً: يتصوّرون أن الفرق الصوفية أكثر المسلمين اعتدالاً، وأكثرها ابتعاداً عن العمل السياسي ونهج العنف. وطبقاً لذلك هم يتصوّرون أن المتصوفة أكثر عداء (للإسلام السياسي)، وأقل إلحاحاً في المطالبة بتطبيق الشريعة، ولا يعملون بصورة منظمة من أجل انتقال بلدانهم للحكم بالإسلام..

ولهذه الخصائص السياسية التي يتوقعونها من الصوفية فقد جعلوهم في تلاقٍ كبير مع الليبراليين لتشكيل جبهة للوقوف ضد خصومهم هؤلاء لمحاربة (التطرف والغلو) بحد زعمهم".[١٥]

ختـــام

في عام ١٩٥٢م كتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله عن "الإسلام الأمريكاني"، أو الإسلام الذي أريد له أن يقاوم الشيوعية..

وفي الستينات كان "الإسلام الحركي" مطلوبا لمقاومة القومية واليسار..

وفي الثمانينات كان المطلوب "الإسلام السلفي" لمقاومة "الإسلام الحركي"..

---

[١٥] **مقتطفات من مقال بمجلة (البيان)، عدد رمضان ١٤٣٤هـ.**

واليوم، يريدون "الإسلام الصوفي" و"الإسلام الليبرالي" لمحاربة كل من "الإسلام السلفي" و"الإسلام الحركي"!

قال تعالى: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".

وعن خباب رضي الله عنه، قال ﷺ: "وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأمر حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وإلى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إلا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تستعجلون". **رواه البخاري.**

ملحق: تدمير الإسلام من الداخل

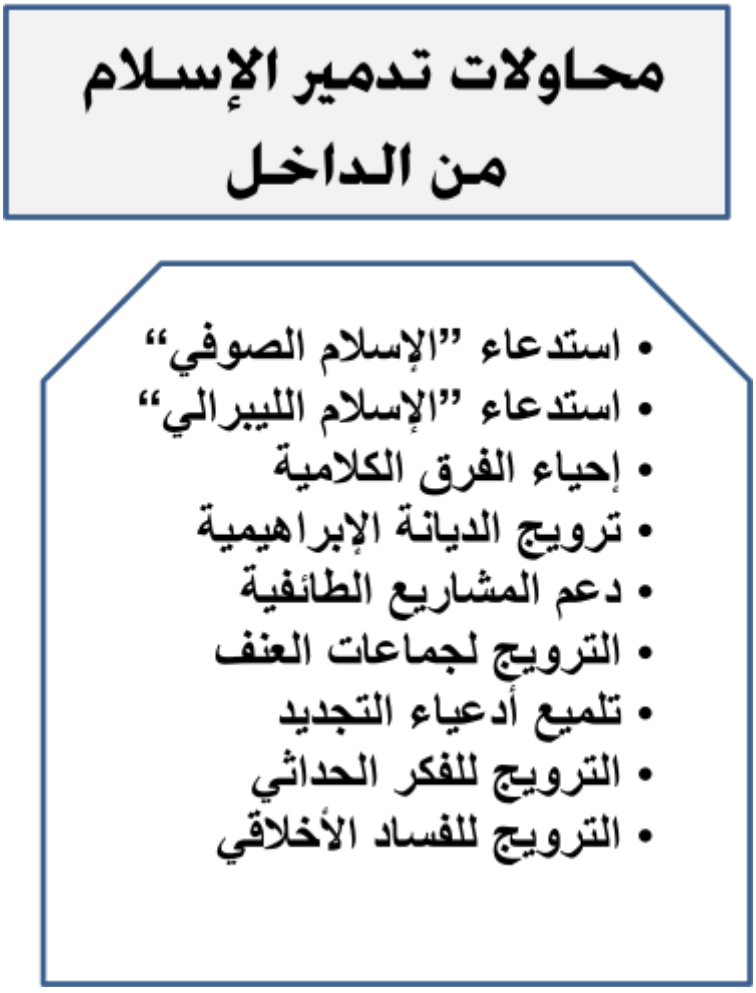

القضية الخامسة

الجهاد الأفغاني: يا لها من دروس وعبر

كان الغزو الشيوعي السوفييتي لأفغانستان عام ١٩٧٩م بداية لمرحلة جديدة حاسمة في تاريخ هذا البلد الإسلامي العريق.

لقد تحولت أفغانستان إلى عرس جهادي رائع طوال الثمانينيات، وأصبحت مصدر إلهام لشعوب العالم الإسلامي المتطلعة لحكم إسلامي صالح راشد، حكم كفيل بأن يحقق الازدهار في الداخل ويردع الأعداء في الخارج.

وبدأت قصص الجهاد وملاحم البطولات تترى، وأصبحنا نضرب المثل بصمود الشعب الأفغاني وببطولات قادته في سبيل حفظ بيضة الإسلام والدفاع عن حرية الوطن واستقلاله. وأصبح قادة الجهاد الأفغاني ملء سمع العالم وبصره، خاصة: برهان الدين رباني[١٦] زعيم الجمعية الإسلامية، وساعده الأيمن أسد "وادي بانجشير" أحمد شاه مسعود[١٧]، وعبد رب الرسول سياف زعيم الاتحاد الإسلامي، وقلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي، ويونس خالص[١٨] زعيم الفصيل الآخر للحزب الإسلامي، وقائده الميداني الشهير جلال الدين حقاني[١٩]..

وبدأت الهزائم تتوالى على الاتحاد السوفييتي، وبدأ نجم المجاهدين يزداد تألقا، والعالم يزداد إعجابا بالبطولات الحقيقية الرائعة، والتضحيات الكبيرة التي تحملها المجاهدون ومعهم كافة فئات الشعب الأفغاني المسلم.

ولكن شيئا فشيئا، بدأنا نرى تحت الرماد وميض نار، أوشك أن يكون لها ضرام!

أخذت المنافسات بين فصائل المجاهدين تتسع، وأخذت الخصومات تتشعب حتى بدأت تؤثر سلبا على مستقبل القضية الأفغانية إجمالا. ووصل الأمر إلى اندلاع معارك ووقوع مذابح بين الأطراف المتنافسة، خاصة بين تنظيمي رباني ومسعود من

---

[١٦] **اغتيل بتفجير في ٢٠ سبتمبر ٢٠١١م، رحمه الله.**
[١٧] **اغتيل في ٩ سبتمبر ٢٠٠١م، رحمه الله.**
[١٨] **توفي في ١٩ يوليو ٢٠٠٦م، رحمه الله.**
[١٩] **توفي في ٣ سبتمبر ٢٠١٨م، رحمه الله.**

جهة، وحكمتيار من جهة أخرى. وعندما لفظ نظام العميل نجيب الله أنفاسه الأخيرة في عام ١٩٩٢م كانت الأزمة قد وصلت إلى الذروة. واندلع القتال العنيف، ووقع المجاهدون صرعى في المعارك على أيدي رفاق السلاح! وتبدد المشروع الإسلامي الذي انتظرنا أن يتحقق على أيدى المجاهدين.

فصائل المجاهدين

م	الفصيل	القيادة	الوصف	التأثير
١	الجمعية الإسلامية	برهان الدين رباني، أحمد شاه مسعود	إسلام حركي	قوي
٢	الحزب الإسلامي (حكمتيار)	قلب الدين حكمتيار	إسلام حركي	قوي
٣	الحزب الإسلامي (خالص)	يونس خالص	إسلام حركي- قبلي	متوسط
٤	الاتحاد الإسلامي	عبد رب الرسول سياف	إسلام حركي	متوسط
٥	حركة الانقلاب الإسلامي	محمد نبي محمدي	إسلام قبلي	متوسط
٦	جبهة التحرير الوطني	صبغة الله مجددي	إسلام صوفي	ضعيف
٧	الجبهة الإسلامية الوطنية	سيد أحمد جيلاني	إسلام صوفي، شبه علماني	ضعيف

ثم جاءت "حركة طالبان" لتلتقط الخيط، ولتستولي على البلاد كبديل عن فصائل المجاهدين التي فشلت في تحقيق الأمن والأمان بعد هزيمة النظام الشيوعي العميل.

عندما دخلت حركة طالبان كابول عام ١٩٩٤م، في ظهورها الأول، انسحب المجاهدون إلى أقصى شمال أفغانستان. **وفي خطوة صادمة، دخل رباني ومسعود وسيّاف في تحالف مع الزعيم الشيوعي المجرم عبدالرشيد دوستم، وشكلوا جميعا ما عرف بـ "تحالف الشمال"**. ألم يكن من الأولى لقادة المجاهدين أن يدخلوا في تفاهمات مع طالبان، بدل التحالف مع المجرم دوستم؟!

وبعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في أمريكا، جاءت جحافل الأمريكان الهمج برا وبحرا وجوا، **وبالتعاون مع تحالف الشمال!** سقطت أفغانستان تحت براثن الاحتلال الأمريكي. ولم يعد بإمكان الشعب الأفغاني أن يفتخر بأن بلاده هي الوحيدة التي لم تخضع للاستعمار طوال تاريخها الحديث!

سقط المشروع الجهادي في أفغانستان لسببين: عجز الداخل أولا، ثم كيد الخارج.

كان حلما جميلا!

في فترة الجهاد ضد المحتل الروسي (١٩٧٩-١٩٨٩م)، كانت أخبار البطولات تصل إلى أسماع المسلمين وكل العالم، وكانت دماء الشهداء تروي أرض أفغانستان، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم في الشهداء الأبرار.

وكانت الأحلام والأمنيات لا تفارق أذهان وعقول المؤمنين، فدولة الإسلام على وشك القيام، لتتبعها تحرير مقدسات المسلمين في فلسطين:

- "شعار المجاهدين: من كابول إلى فلسطين"[٢٠]..
- "يصرح حكمتيار: نشترك معا في بناء أفغانستان المسلمة بدولتها الإسلامية ثم نمضي معا إلى فلسطين"[٢١]..
- صورة لمجموعة من الأطفال الأفغان المسلحين وتعليق: "جيل الغد ينتظر الخلافة"[٢٢]..
- يصرّح سيّاف: "نحن نسعى لإعادة الخلافة"[٢٣]..

هكذا كانت الشعارات البراقة الطنانة! أين ذهب أصحابها؟

أما أحمد شاه مسعود فاغتيل وهو متحالف مع عدو الله عبدالرشيد دوستم..

وأما ربّاني فقد تحالف مع النظام الجديد الموالي للمحتل الأمريكي وعاش تحت رعاية أمريكا حتى مقتله، أي في الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠١١م..

وأما سيّاف فقد تحالف أيضا مع النظام الجديد الموالي للمحتل الأمريكي وعاش تحت رعاية أمريكا لمدة عقدين من الزمان وحتى عودة طالبان، أي من ٢٠٠١ إلى ٢٠٢١م. وقد سامحه قادة طالبان، وهو يعيش الآن على استحياء في كابول..

وأما حكمتيار فقد عاش متقلبا في كل شيء: يقاتل المليشيات الشيعية ثم يتحالف معها.. يعادي إيران ثم يلجأ إليها.. يشارك في حكومة المجاهدين ثم ينسحب منها.. يحارب طالبان ثم يطلب منها السماح له بالعودة.

---

[٢٠] **مجلة (الجهاد) التي كان يصدرها الشيخ عبدالله عزام رحمه الله في بيشاور، العدد ٧ .**
[٢١] **المصدر السابق، العدد ٥٢ .**
[٢٢] **مجلة (البنيان الموصوص) التابعة لسيّاف، العدد ٢١ .**
[٢٣] **المصدر السابق، العدد ١٩ .**

"لم يترك حكمتيار لرباني أي فرصة للتفرغ لشؤون البلاد فقد أشعل كابول بصواريخه في مايو ١٩٩٢م بعد دخول أحمد شاه مسعود كابول، وفي فبراير ١٩٩٣م عندما أعلن بأنه لن يوقف الحرب حتى يستقيل رباني بلا قيد ولا شرط.. ولقد وفى بوعده.. فما زالت صواريخه تقتل وتدمر كل شيء ... هو تارة مع الإخوان وتارة ضدهم، وهو تارة مع حسن الترابي، وتارة مع قاضي حسين وتارة ضده. شعاراته إسلامية ومنطلقاته بشتونية، قادة الجهاد جميعا يكرهونه في السر ويخشونه في العلن..".[٢٤]

هذا ما حصل في الجهاد الأفغاني: قادة يجاهدون المحتل الروسي الشيوعي، ثم يتعاونون مع الأمريكي الصليبي لاحتلال بلادهم!

تبخّرت الأحلام، وواجهنا الواقع الأليم، وعرفنا البون الشاسع بين التنظير والتطبيق، وما كل ما يتمناه المرء يدركه.

نجح المجاهدون في ميدان الجهاد ضد المحتل الروسي، وفشلوا في ميدان جهاد النفس.

"رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ".

اللهم ارحم كل مجاهد مخلص سالت دماؤه الطاهرة في بلاد الأفغان، وتقبلهم في الشهداء والصالحين.

"وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا".

برهان الدين رباني

مسعود

حكمتيار

سياف

---

[٢٤] من مقال للدكتور مصطفى الطحان على موقعه الرسمي.

القضية السادسة:

عودة طالبان.. مزيد من الدروس والعبر

تأسست حركة طالبان بقيادة الملاّ محمد عمر رحمه الله (١٩٥٩-٢٠١٣م) في بداية تسعينات القرن الميلادي المنصرم، وتمكنت من السيطرة على ولاية قندهار، ثم أخذت تتوسع حتى دخلت العاصمة كابول عام ١٩٩٤م، وأعلنت قيام "إمارة أفغانستان الإسلامية".

أثناء توسع الحركة، كانت فصائل المجاهدين تنهزم أمامها بسهولة وتولّي الأدبار، إلاّ في أحيان قليلة.. لماذا انتصرت طالبان بكل سهولة؟ هذه أهم الأسباب:

- ما أشيع من دعم عسكري وإعلامي من الحكومة الباكستانية بسبب فقدان الأمل في فصائل المجاهدين..
- انشغال فصائل المجاهدين بحروبهم الداخلية وارتكابهم المذابح المتبادلة فيما بينهم، بالرغم من محاولات الوساطة من قِبَل جهات إسلامية كثيرة..
- نجاح الحركة في تحقيق الأمن والأمان، بعدما انعدم هذا الأمن وانتشر قطاع الطرق في ظل حكومة المجاهدين (١٩٨٩-١٩٩٤م)[٢٥]..
- تحفظ بعض المقاتلين في فصائل المجاهدين من محاربة طالبان بسبب أنهم من (طلاّب العلم الشرعي).

أعادت طالبان تأسيس "إمارة أفغانستان الإسلامية" بعد دخولها كابول عام ٢٠٢١م، في أعقاب الانسحاب الأمريكي المذل. وكانت طالبان طوال فترة الاحتلال الأمريكي تقوم بعمليات مقاومة ناجحة ضد المحتل.

---

[٢٥] **للأسف، تحول بعض (المجاهدين) إلى قطاع طرق بعد سقوط الحكومة الشيوعية!**

دروس وعبر من عودة طالبان

١) الثبات والإصرار

ظلت حركة طالبان تقاتل التحالف الدولي بقيادة أمريكا لمدة عشرين سنة دون كلل أوملل، ودون انشغال بقضايا جانبية، ودون التفات إلى موقف ما يسمى بالمجتمع الدولي، ولم تبد اهتماما بالحرب النفسية والتشويه الإعلامي ضدها، فنظرة الآخر في النهاية تتوقف على شيء واحد فقط: من هو الأقوى في الميدان؟

٢) وضوح الرؤية ووحدة الهدف

منذ نشأة الحركة حوالي عام ١٩٩٢م، وهي تعلن بكل وضوح سعيها لتشكيل دولة إسلامية، حسب مفهومها هي، ونظرتها هي. وابتداء من عام ٢٠٠١م، أي بعد الاحتلال الأمريكي، أضافت هدفا آخر لابد من تحقيقه أولا: تحرير أفغانستان من الاحتلال الأجنبي. ولم يحصل أن وقع نزاع داخل الحركة حول هذين الهدفين.

٣) فقه التوريث

عند دخول كابول عام ٢٠٢١م، لاحظنا أن الأغلبية الساحقة من هذه الآلاف المؤلفة من مسلحي طالبان هم من جيل الشباب، الذين كانوا أطفالا عند الظهور الأول للحركة بداية التسعينات، وهذا يعني أن قيادة الحركة نجحت في عملية التوريث والتربية (بمفهومهم). وقد فعلت ذلك تحت أصعب الظروف وأقساها، حيث كانت الحركة مشتتة في الجبال والكهوف والوديان.

٤) الالتزام بالمبدأ

بالرغم من الظروف الصعبة، وطول الأمد، ظل أفراد الحركة ملتزمين بمبادئهم التي يرونها هي الحق والصواب. وهذا -للأسف- لم يحدث مع بعض قادة المجاهدين، الذين كانوا أبطال الوغى طوال فترة الثمانينات. لقد رأينا بعض قادة المجاهدين الذين جاهدوا الروس بكل قوة وإصرار، ومنهم برهان الدين رباني، وأحمد شاه مسعود، وعبد رب الرسول سياف يتحالفون مع المحتل الأمريكي الجديد عام ٢٠٠١م في سبيل إسقاط حكم طالبان، وهذه ظاهرة غريبة تستحق الكثير من التدبر والتفكير.

٥) الاعتماد على النفس

لقد عزز الحدث الأفغاني تلك المقولة الأمريكية الشهيرة "مصالح دائمة فقط"، أي لا التفات لصديق أو حليف. كان القرار المفاجئ بالانسحاب قرارا أمريكيا بحتا، لا التفات فيه لآراء ومواقف حلفاء أمريكا المحليين من الأفغان. وصدق المثل: "المتغطي بالأمريكان.. عريان"!

٦) ألاعيب السياسة

لا يمكن تصور أن هذا الانسحاب، بل الفرار الأمريكي الفاضح تم بدون ترتيبات معينة مع طالبان. قد يكون هناك نوع اتفاق -مثلا- على ألاّ تعمل طالبان على ملء الفراغ الناشئ عن الانسحاب الأمريكي بقوى أخرى مناوئة لأمريكا. وهذا لا يعني التشكيك في مصداقية طالبان، ولكن من فنون الصراعات السياسية أن يحدد الطرف المعني هدفه بناء على موقفه الراهن وقدراته الآنية: **هل الهدف هو الخروج بأكبر قدر من المكاسب؟ أم هو الخروج بأقل قدر من الخسائر؟ هذه هو فن إدارة الصراعات.**

٧) تغيّر نهج طالبان حقيقي أم مصطنع؟

مؤشرات تغير طالبان واضحة للعيان، ونرجو ألا يكون ذلك نهجا تكتيكيا مؤقتا. إذا كانت حركة طالبان تريد تطبيق شريعة الإسلام وإقامة دولة إسلامية فإن ذلك يفرض عليها مسئولية تقديم الدين الإسلامي الحنيف بصورة صحيحة، سواء للشعب الأفغاني نفسه أم للخارج. إن الاعتدال والوسطية والتدرج من أخص خصائص الإسلام، وكل ذلك لا يعني بطبيعة الحال التساهل والميوعة الفكرية والانهزامية أمام الخصوم، كما يفعل ذلك بعض رموز العمل الإسلامي اليوم.

موقف الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

في ديسمبر ٢٠٢٣م، وصل إلى العاصمة الأفغانية كابول وفد علمائي كبير يضم الدكتور علي القرة داغي والشيخ محمد الحسن الددو والدكتور محمد الصغير والدكتور علي الصلابي وغيرهم، لمناقشة الوضع مع المسؤولين في الحكومة الأفغانية. ورحب مسؤولون في الحكومة الأفغانية بالوفد العلمائي واستقبلوهم في مطار كابول، وقد التقى الوفد ببعض من مسؤولي "الإمارة الإسلامية" للتحدث معهم ومناقشة عدد من القضايا ذات الأهمية.

من جانبه قال الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الدكتور علي القرة داغي خلال لقائه بوزير المهاجرين الأفغاني: "نرى في أفغانستان خيرا كثيرا ونأمل أن تتحول المشاكل الموجودة إلى نِعَمٍ ومِنَح بإذن الله".

قال الاتحاد:

"خلال اللقاء مع وزير الخارجية أميرخان مُتقي، أعرب وفد العلماء عن تضامنهم مع أفغانستان، وأكدوا أن علماء العالم الإسلامي يقفون بقوة وراء القضية الأفغانية. وفي كلمته خلال اللقاء، أعرب الوزير مُتقي عن امتنانه للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لدعمهم وتعاونهم أثناء وبعد انتصار إمارة أفغانستان الإسلامية..

والتقى وفد الاتحاد العالمي للعلماء بوزير الداخلية سراج الدين حقاني، حيث رحب الوزير سراج الدين حقاني بزيارة وفد العلماء، وقال إن إمارة أفغانستان الإسلامية تعتبر هذه الزيارة من أفضل أدوات إقامة العلاقات مع العالم الإسلامي. وعبر حقاني عن شعورهم العميق بألم الإبادة الجماعية في فلسطين، وقال إنه يعتقد أن عون الله سيأتي بعد الصعوبات التي عاشوها ببركات الجهاد".[٢٦]

---

[٢٦] **الموقع الرسمي للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.**

وفد العلماء في كابول

ختـــام

ونختم الحديث عن طالبان بمقتطفات من مقال مهم للدكتور ياسين أقطاي، القيادي في حزب العدالة والتنمية التركي:

"ترسل لنا أفغانستان الجديدة رسالة أمل ملهمة، تدعم إصرار أولئك المقاومين والمناضلين من أجل الحريّة، وترينا كيف أن طريق التغيير يبدأ بطرد الاحتلال. كما تقدّم لنا كذلك درسًا في خطورة الصور النمطية التي يتمّ بيعها لنا، لإضعاف ثقتنا في الذات، وتقديم الصّديق في صورة عدوّ، والطيّب بوجه شرير ... سيكون غريبًا أن نعلم أن الموضوعين اللذين يتصدران أولويات الحكومة الحالية (حكومة طالبان) هما: التنمية الاقتصادية، وتوفير بيئة تشجّع على الحد من الهجرة من البلاد. يبدو هذا مدهشًا مقارنة بالأخبار التي اقترنت باسم أفغانستان طوال العقود الماضية، عندما كانت اللغة السائدة في هذا البلد هي لغة الاحتلال والعنف والحرب وعدم الاستقرار، ولم يكن من الوارد أن ينشغل أحد بمثل هذه المواضيع، ولكن -صدق أو لا تصدق- هذا ما أصبح عليه الحال بالفعل عندما انتهى الاحتلال قبل عامَين ونصف..

التعامل مع مشكلة صناعة المخدِّرات، والنجاح في تجفيف هذا القطاع بسرعة يعدان أيضًا من أبرز معالم النجاح في تجربة طالبان الجديدة، فعلى مدى عقود من عدم الاستقرار، كانت المخدِّرات أكبر مدخلات الاقتصاد الأفغاني، يتعيّش عليها عدد كبير من المواطنين، ولا يسعى الاحتلال بصورة جادة لمواجهتها، بل يمكن القول إنه يستفيد منها، فقد كان جزء من تمويل الاحتلال يعتمد على هذه الصناعة، كما أنه كان يستفيد من تزايد نسب الإدمان للحدّ من المقاومة..

أعلنت إدارة طالبان عفوًا عامًا فور توليها السلطة، قائلة إنه لن يتم ملاحقة أي شخص بسبب علاقته بالنظام القديم ما لم يكن قد انتهك حقوق الإنسان. وحتى هذه اللحظة، ما زالوا ملتزمين بهذا الوعد. وساهم هذا في إيقاف هذا التسارع في معدلات الهجرة ...

أفغانستان تقدم فرصًا جيدة جدًا للمستثمرين في مجالات الطاقة، بناء البنية التحتية، المعادن، الزراعة، ورأس المال البشري. لديها بالفعل سكان شباب، مجتهدون، ماهرون، سريعو التعلم ولا يتهربون من الصعوبات، كما أن لديها أراضي واسعة عالية الجودة تصلح للزراعة. ويمكن جعل البلاد مركز جذب للمستثمرين الدوليين في مجال النسيج أو الصناعات التي تحتاج إلى العمالة الكثيفة، وذلك من خلال حملة ترويجية تعرض أفغانستان كدولة فرص".[٢٧]

---

[٢٧] الدكتور ياسين أقطاي: مقال (هذا ما يحدث في أفغانستان الجديدة)، موقع (ترك برس) بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠٢٤م.

القضية السابعة

نقاش حول فكر الأستاذ سيد قطب

المفكر العملاق، والأديب الكبير، الشهيد بإن الله، الأستاذ سيد قطب إبراهيم، رحمه الله وتقبله في الشهداء. ولن نقدّم تعريفا للأستاذ سيد، فهو أشهر من نُعرّف به.

كثُر اللغط على الساحة الإسلامية منذ عقود، وإلى اليوم حول فكر سيد:

- هل هو فكر متطرف، أم معتدل ولكن بنبرة قوية..
- هل هو فكر تكفيري، أم بعيد عن التكفير..
- هل يخاطب بآرائه النخب المسلمة أم عموم المسلمين..
- هل يقصد بـ "الجاهلية" معناها الحقيقي، أم على سبيل التقريب..
- هل بالغ في استخدام مصطلحي "الحاكمية" و"الجاهلية"، أم أن فعله صحيح سليم؟

شارك في النقاش والحوار والردود، وعلى مدى عشرات السنين مجموعة من المفكرين والعلماء والدعاة، وتباينت الآراء بصورة واضحة.

موقف العلاّمة القرضاوي

يكنّ العلاّمة الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله محبّة خاصة لسيد قطب، وقد عبّر عن ذلك في مناسبات عديدة، وعبر وسائل مكتوبة ومسموعة. ولكن يأخذ على سيد رحمه الله تبنّيه للتكفير! وقد تكلم عن ذلك في عدة مناسبات، ثم ذكر وجهة نظره بالتفصيل في الجزء الثالث من سيرته الذاتية، وجعل في آخر الكتاب ملحقا خاصا لهذه المسألة.

يعدد القرضاوي المراحل الفكرية التي مرّ بها سيد قطب، وهي مرحلة الأدب والنقد، ثم مرحلة الدعوة الإسلامية، وأخيرا مرحلة الثورة الإسلامية. ثم يقول:
"تكوّن هذا الفكر الثوري الرافض لكل من حوله وما حوله، **والذي ينضح بتكفير المجتمع، وتكفير الناس عامة**، لأنهم أسقطوا حاكمية الله تعالى، ورضوا بغيره حكما

... **وأخطر ما تحتويه التوجهات الجديدة في هذه المرحلة لسيد قطب، هو: ركونه إلى فكر (التكفير) والتوسع فيه،** بحيث يفهم قارئه من ظاهر كلامه في مواضع كثيرة ومتفرقة من (الظلال) ومما أفرغه في كتابه (معالم في الطريق): أن المجتمعات كلها قد أصبحت (جاهلية). **وهو لا يقصد بالجاهلية جاهلية العمل والسلوك فقط، بل (جاهلية العقيدة)، إنها الشرك والكفر بالله.."**[٢٨].

وفي ملحق الجزء الثالث من سيرته الذاتية، يستشهد بقول سيد قطب في "الظلال":
"إن المسلمين اليوم لا يجاهدون .. **ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون!** .. إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج". [٢٩]

ويستشهد بقول سيد في "المعالم"، ضمن تعريفه للمجتمع الجاهلي وأنواعه:
"تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا .. **يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها**

ومن كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام" يستشهد القرضاوي بقول سيد قطب:
"ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية -على هذا النحو- قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك". [٣١]

تسبّب موقف القرضاوي رحمه الله في لغط كبير بين الإسلاميين، وذلك لمكانة الشيخ الكبيرة ومنزلته الرفيعة ودوره البارز في الصحوة الإسلامية.

---

[٢٨] **يوسف القرضاوي: ابن القرية والكتّاب.. ملامح سيرة ومسيرة، ج٣، ص٥٦-٥٨**
[٢٩] **المصدر السابق، ص٤٥٧**
[٣٠] **المصدر السابق، ص٤٦٥**
[٣١] **المصدر السابق، ص٤٦٧**

وقد عقّب الكثير من المفكرين والدعاة -أو ردّ- على كلام القرضاوي، نستعرض فيما يلي بعضها..

١) رأي الشيخ الدكتور سلمان العودة

يقول الشيخ العودة: "سيد قطب رحمه الله اختلف في منهجه الكثيرون، فالبعض أسماه مكفِّرا والبعض الآخر أسماه مشبّهًا والبعض الآخر أسموه متكلمًا، والأدهى من ذلك والأَمَر أن البعض يكفره ويمزق كتبه ويكفرونه ويسمون كتابه (في ظَلال القرآن): الضلال! علمًا بأنه حمل لواء الجهاد في سبيل الله بالكلمة الصادقة -كما نحسبه والله حسيبه- ومات وهو على كلمة الحق التي دعا إليها..

والذي أدين الله به أن الأستاذ سيد قطب من أئمة الهدى والدين، ومن دعاة الإصلاح، ومن رواد الفكر الإسلامي، سخّر فكره وقلمه في الدفاع عن الإسلام، وشرح معانيه، ورد شبهات أعدائه، وتقرير عقائده وأحكامه، على وجه قلّ من يباريه أو يجاريه في هذا الزمان. وكان حديثه حديث المعايش الذي لابس همّ الإسلام قلبه، وملك عليه نفسه، قد شغله الحزن على الإسلام، والغضب له، حتى عن ذاته وهمومه الخاصة ... كتب فصولاً موسعة في موضوع الدعوة ومنهجها، والموقف من المجتمعات المعاصرة، وكتب ذلك بعاطفة مشبوبة، ولغة قوية، وغيرةٍ على الدين، وعلى المسلمين، حمّلها بعض قارئيه ما لا تحتمل من المعاني واللوازم، وتعاملوا معها على أنها نصوص تقرأ بحروفها وألفاظها، وتحفظ وتتلى ويستشهد بها في

مواطن النزاع، ومضايق الجدل والمناظرة والخصام. وبنى بعض هؤلاء على هذه القراءة الحرفية الضيقة تكفير الناس كافة، أو التوقف بشأنهم أو الهجرة من ديارهم، إلى أين؟ لا أدري!".[٣٢]

٢) رأي المستشار سالم البهنساوي رحمه اللّه

يقول البهنساوي: "لقد أعاد سيد قطب قراءته للقرآن الكريم ليعقد المقارنات بين طبيعة الخلاف والصراع الحالي، وبين الإسلام والجاهلية خلال حياة الرسل بمصطلحات جديدة، وكان منهجه الفكري الجديد مفاهيم لا تعتبر أحكامًا شرعية بكفر الأفراد أو الجماعات، فقد أفصح صاحب هذه المصطلحات أنها ليست إلا تصورات لطبيعة الصراع، ومعالم على طريق هذا الصراع. لهذا يخطئ من يستخلص منها أحكامًا شرعية بكفر الأفراد أو المجتمعات، فالمقارنة التي أوردها بين الجاهلية الأولى وبين الحضارة المادية المعاصرة، ليست لاستخلاص حكم شرعي مماثل لحكم الله في الجاهلية الأولى. إنها مقارنة لمعرفة طبيعة الخلاف والصراع الذي يجهله الكثيرون. إنه من الخطأ البيّن أن نستخلص من هذه المقارنة حكمًا بكفر الشعوب الإسلامية المحكومة بهذه الأنظمة العسكرية، ولا بكفر أشخاص الحكام، **وإن مصطلح الجاهلية في فكرسيد قطب يُراد به جاهلية المناهج والتشريعات التي تناهض شريعة الله وتحاربها ...".**[٣٣]

نرى مما سبق، أن البهنساوي يقول كلاما مفاده أن سيّدا لم يقصد تكفير أحد، لكنه يأتي بعد قليل بكلام مناقض! يقول البهنساوي:

"نجد حسن البنا يقول في رسائله: يا قومنا -وكل المسلمين قومنا- ندعوكم إلى كذا وكذا. بخلاف سيد قطب، **فهو يرى أن الإسلام قد انقطع وجوده من الأرض، فلا توجد أمة مسلمة، ولا يوجد مجتمع مسلم، بل لا يوجد أفراد مسلمون، لا بمعنى أنهم ارتدوا عن الإسلام، بل لأنهم لم يدخلوا أصلا في الإسلام،** لأن دخول الإسلام لا يتحقق إلا بشهادة أن (لا إله إلا الله)، بما تتضمنه من إفراد الله تعالى بالحاكمية، وهم

---

[٣٢] الدكتور سلمان العودة: مقال (سيد قطب في الميزان)، موقع (إسلام أون لاين)، بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٤م.

[٣٣] المستشار سالم البهنساوي: مقال (رؤية لتباين الآراء حول فكر سيد قطب)، موقع (إسلام أون لاين)، بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٠٤م.

لم ينطقوا بالشهادة بهذا المدلول. وهذا هو المفهوم الذي أنكره العلاّمة الندوي على سيد وعلى المودودي من قبله، وسماه (التفسير السياسي للإسلام)".[٣٤]

٣) رأي الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي رحمه اللّه

الدكتور الخالدي متخصص في فكر الأستاذ سيّد، وله عدة مؤلفات في هذه الخصوص. يقول عن سيّد قطب:

"لقد عشتُ مع فكره الدعوي والحركي والجهادي أربعين سنة ولله الحمد، فما وجدته -في مجمله- إلا صوابًا حقًّا. وقد يقع سيد قطب في بعض الأخطاء القليلة لأنه ليس معصومًا، ووجدت له بعض تلك الأخطاء، لكنها لا تكاد تذكر أمام جبال صوابه، وقد أصدرت سبعة كتب ولله الحمد في دراسة حياته وفكره. وكم ساءني التجني والتحامل والاتهام بالباطل الذي صدر عن بعضهم في الهجومِ على سيد قطب وفكره ... يا شباب الصحوة ورجال الجهاد والمواجهة تتلمذوا على فكر الرائد الشهيد، واستفيدوا منه في جهادكم، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين".[٣٥]

٤) رأي الأستاذ راشد الغنوشي

يقول الغنوشي: "... والحقيقة أنه قَلّ من مفكر معاصر ألصقت به من تهم التنظير للعنف والتكفير وذهبت التأويلات لفكره أنحاء شتى مثلما حصل مع الأستاذ سيد. فما سر ذلك؟ وما موقع سيد قطب الحقيقي: أهو رمز من رموز الوسطية الإسلامية التي يمثلها الإخوان، باعتباره أحد أبرز قادتهم؟ أم هو قد تحول في غمرة المواجهة مع الثورة إلى منظّر لجماعات التكفير بل مؤسس لها؟ إنه رغم الحملات من جهات شتى على الأستاذ سيد، لا يزال يتربع في طليعة المفكرين المؤثرين في الساحة الإسلامية وما أحسبه إلا معدودا في عداد عظماء الأمة. فقد كتب بدمه أروع ملاحم الفكر الإسلامي المعاصر التي ستظل مؤثرة على امتداد الأجيال على غرار أمثاله من فطاحل العلماء الأفذاذ ... إن تراثه في جوانب كبيرة منه أدب سياسي نضالي راق،

---

[٣٤] المصدر السابق.

[٣٥] الدكتور صلاح الخالدي: مقال (في ذكرى استشهاد سيد قطب)، موقع (إسلام أون لاين)، بتاريخ ٢ سبتمبر ٢٠٠٦م.

يحرض على الثورة للإطاحة بالطواغيت وبالجاهليات. وفي العموم فقد بذل الرجل عصارة حياته لتقديم نظرية إسلامية عامة حول الإسلام ونظمه للحياة وتصوراته لأحوال الأمة ومسيرتها التاريخية وإرثها الحضاري وما يحيط بها من أوضاع دولية، وما يقترحه عليها من منهاج للتغيير في اتجاه البديل المطلوب".[٣٦]

يُكمل الغنوشي: "هذا الأديب الثائر الأقرب إلى اليسار (!)[٣٧]، لم يكن عجبا أن يتحول في غيابات السجن عن ذلك التوجه الاجتماعي الثوري صوب توجه آخر يتسم بالراديكالية الأيديولوجية والصراع الذي لا هوادة فيه بين الإسلام والجاهلية على كل صعيد، معتبرا جوهر مشكلة الأمة عقائديا يتمثل في أنها لم تفقه بعد (لا إله إلا الله)، فلا مناص من البدء بإعادة تعليمها هذا المنطلق العقدي الأساس باعتباره منهج حياة..

وتقديري أن الحركة الإسلامية المعاصرة ضمن الهجمة الإمبريالية الزاحفة هي أحوج ما تكون لإدراج إنتاج المرحلة الأولى من إسلاميات قطب ضمن مناهجها التربوية، ففيها مادة تسد ثغرة واسعة في بنيان الفكر الإسلامي الحديث، هذا البعد الثوري الذي اكتشفه الإمام الشهيد سيد قطب في الإسلام قرآنا وسُنة وصاغه صياغة أدبية راقية، مع ضرورة التمييز في كتابات المرحلة الثانية بين قيم إسلامية ثابتة وبين ما هو مصطبغ بصبغة ظروف الصراع بين الحركة الإسلامية وأبنائها المتمردين عليها".[٣٨]

٥) رأي الدكتور محمد علي الهاشمي رحمه اللّه

يقول الدكتور الهاشمي، ضمن دفاعه عن سيد قطب:

"ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أشير إلى ما ورد حول فكر سيد قطب من شبهات وأحكام ظالمة، رمته بتكفير المسلمين، كل المسلمين، وهو منها براء. ويمكن حصر هؤلاء الذين رموه بهذه التهمة في الفئات الآتية:

---

[٣٦] الأستاذ راشد الغنوشي: مقال (ما مدى مسئولية قطب عن حركات التكفير والعنف؟)، موقع (الجزيرة نت)، بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٦م.

[٣٧] علامة التعجب (!) من عندنا وليس من الغنوشي.

[٣٨] المصدر السابق.

١ -فئة ملحدة ضالة، لا تريد لفكره أن ينتشر بين الشباب، فهي تختلق عنه الأباطيل والأكاذيب، لصرف الشباب عن الفكر الإسلامي الأصيل..

٢ -فئة تجهل معظم ما كتب، فهي تردد ما تسمع..

٣ -فئة تسرّعت في الحكم عليه، ولم تتئد في قراءة أفكاره المبثوثة في مؤلفاته، فاستنبطت نتائج خاطئة، إذ لم تتبع الأفكار التي استنبطت منها تلك النتائج في نصوص أخرى من كلامه، توضح المقصود، وتفصّل المجمل، وتبيّن المراد.

فهو لا يكفّر إلا الجاحدين الملحدين الذين يرفضون منهج الله وشريعته ونظامه، أو يرون أن دين الله ومنهجه في الحياة كان صالحاً في أيام النبوة والخلافة الراشدة، أما اليوم، في هذا العصر الحديث، فلا يصلح منه شيء يتحاكم إليه الناس".[٣٩]

ويستشهد الدكتور الهاشمي بما ذكره سيد قطب في رسالته (أفراح الروح)، مخاطبا شقيقته أمينة قطب رحمها الله:

"إننا حين نعتزل الناس لأننا نحسّ أننا أطهر منهم روحاً، أو أطيب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً، أو أذكى منهم عقلاً، لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً، لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة. **إن العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس، مشبعين بروح العطف والسماحة، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم".**[٤٠]

٦) رأي الدكتور محمد مرسي رحمه اللّه

قال رحمه الله ضمن مقابلة مع الصحفي مصطفى شعبان، عندما سُئل عن سيد قطب:

"ما قال به الشيخ الفقيه يوسف القرضاوي عن كتابات قطب من أفكار خلال المرحلة الأخيرة من حياته وخروجه عن منهج أهل السنة والجماعة بوجه ما، يخالف ما شهد

---

[٣٩] الدكتور محمد علي الهاشمي: مقال (وقفات فكرية في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب)، مجلة (المجتمع)، العدد ١٧٦٧، بتاريخ ١ سبتمبر ٢٠٠٧م.
[٤٠] المصدر السابق.

به الكثير ممن عاصروا قطب، وأن من عايشوا قطب حتى من غير الإخوان لم يصلوا إلى هذا، وأن المرحوم مأمون الهضيبي قال نقلا عن قطب أثناء أخذه لتنفيذ حكم الإعدام به عام ١٩٦٥م أن الرجل طلب منه أن ينقل لوالده المرشد حسن الهضيبي (أنه لم يكفر أحدا وأنه على العهد وسيبقى على العهد)".[٤١]

٧) رأي الشيخ الدكتور جاسم مهلهل الياسين:

يقول: "تعتبر قضية التكفير من أخطر القضايا التي وجهت إلى الشيخ رحمه الله في حياته وبعد مماته، حيث نقل أهل الطعن بقطب بعضاً من أقواله في ذلك ومنها: قوله في الظلال في مقدمة سورة الأنعام: (كذلك يجب أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية، أنهم حين يدعو الناس لإعادة إنشاء هذا الدين، يجب أن يدعوهم أولاً إلى اعتناق العقيدة، حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين)! ثم قال أحد المعترضين على فكر سيد قطب: (وفي هذا الكلام تكفير واضح للمجتمعات الإسلامية، وهذا النص من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تعليق، فالكاتب ينظر إلى مسلمي اليوم نظرته إلى مشركي العرب في الجاهلية تماماً عند البعثة).

ولتوضيح مراد الشيخ في ذلك: نقول **إن كلام قطب هنا ليس فيه تكفير للمجتمع وإنما دعوة لتغيير الواقع، إنه يريد أن يحث الناس على الالتزام بمنهج الله والأخذ بشريعة الله وعدم رد ما جاء من عند الله وعدم اتباع أعداء الله في مناهجهم وأفكارهم التي تنافي دين الإسلام،** والأمر هنا لا ينطبق على المجتمع كله وليس فيه تعيين، وإن حدث وفهم البعض منه أنه تكفير فعلينا أن نحمل ذلك على المستحل لترك شريعة الله والمستحل للعمل بشرائع أعداء الله مقدمًا إياها على حكم الله تعالى وشرعه. وللدلالة على أن سيدًا لم يكفّر المجتمع كله كما زعم هؤلاء ننظر في قول سيد نفسه وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: الاحتكام إلى الألفاظ الصريحة للشيخ في هذه القضية. لقد صرح الشيخ سيد قطب باللفظ الصريح أنه لا يكفر من قال: لا إله إلا الله، وأن

---

[٤١] **موقع (إسلام أون لاين)، بتاريخ ١٥ أغسطس ٢٠٠٩م.**

على المسلم إذا أراد أن يحكم على الفرد بالإيمان أو الكفر فعليه أن يكتفي بظاهر الإيمان في كلمة اللسان.

والشواهد على ذلك كثيرة من كلامه في الظلال وغيره، يقولرحمه الله عند تفسير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...}: (إن عرض الحياة الدنيا لا يجوز أن يدخل للمسلمين في حساب، إذا خرجوا يجاهدون في سبيل الله، إنه ليس الدافع إلى الجهاد ولا الباعث عليه، وكذلك التسرع بإهدار دم قبل التبين، وقد يكون دم مسلم عزيز، لا يجوز أن يراق).

فهذا هو الشيخ يرى-بما لا يدع مجالاً للشك- أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله المفهومة من إلقاء الرجل السلام، تعصم صاحبها من الكفر. وقد ذهب رحمه الله إلى أن المسلم لا يكفر إلا بدليل من القول أو الفعل، وهذا الكلام الصريح من منطوق الشيخ هو ما بينه أخوه محمد قطب وأكد عليه فيما نقله عن الشيخ سيد فيقول: (لقد سمعته بنفسي أكثر من مرة يقول: إن الحكم على الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشك).

الناحية الثانية: الاحتكام إلى مقصود الشيخ في العبارات التي يوهم ظاهرها التكفير. لا شك أن أعرف الناس بمقصود الشيخ سيد هو الشيخ نفسه، فهو أعلم الناس بمقصوده، ومن ثم نراه يبين مقصوده في بعض العبارات التي يوهم ظاهرها التكفير، والتي فهمها البعض على أنه يقول فيها بالتكفير، ومن هذه العبارات قوله (بانقطاع وجود الأمة المسلمة منذ زمن طويل).

فهذا هو الشيخ يبين مقصوده من هذه العبارة فيقول وقد سُئل رحمه الله في تحقيقات الجناية رقم (١٩٦٥/١٢) أمن الدولة العليا بمصر برئاسة صلاح نصر:

س: هل كنتم ترون أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع منذ مدة طويلة، ولابد من إعادتها للوجود؟

ج: فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله: (لابد من تفسير مدلول كلمة الأمة المسلمة التي أعنيها، فالأمة المسلمة هي التي تحكم على جانب من جوانب حياتها الفردية والعامة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية شريعة الله ومنهجه، وهي بهذا الوصف

غير قائمة الآن في مصر، ولا في أي مكان في الأرض، **وإن كان هذا لا يمنع من وجود الأفراد المسلمين،** لأنه فيما يتعلق بالفرد الاحتكام إلى عقيدته وخلقه، وفيما يتعلق بالأمة الاحتكام إلى نظام حياتها كله). فالشيخ رحمه الله تعالى هنا يعترف بإسلامية الأفراد في داخل مجتمعاتنا".[٤٢]

٨) رأي الدكتور وصفي عاشور أبو زيد

يضع الدكتور وصفي عاشور عشر قواعد لفهم سيد قطب وقراءة فكره قراءة صحيحة، نذكرها بإيجاز:

القاعدة الأولى: إدراك السياق الذي وجد فيه..

القاعدة الثانية: قراءة المشروع كاملا لاتضاح الرؤية..

القاعدة الثالثة: ضم الكتابة إلى الشهادات والمواقف..

القاعدة الرابعة: التفريق بين مرحلتين في حياته..

القاعدة الخامسة: التفريق بين نص كلامه ولازم كلامه..

القاعدة السادسة: القراءة له قبل القراءة عنه..

القاعدة السابعة: القراءة عنه عند الجميع وليس لتيار بعينه..

القاعدة الثامنة: التجرد وعدم الدخول بقناعات سابقة..

القاعدة التاسعة: الإنصاف والاعتدال في الحكم على مشروعه..

القاعدة العاشرة: بشرية سيد قطب.

---

[٤٢] الدكتور جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين: مقال (خير خلف لخير سلف)، جريدة (الوطن) الكويتية، بتاريخ ٦ فبراير ٢٠١٠م.

وبعد شرحه لهذه القواعد، يقول:

"هذه جملة من القواعد الحاكمة لقراءة سيد قطب ومشروعه الفكري، عسى أن تقودنا إلى فهم معالم مشروعه والتعامل مع من يتحدث عنه، وهي -في نظري-صالحة لأنْ تكون قواعد عامة في قراءة الشخصيات والأفكار والحركات والجماعات والأحزاب والهيئات، وإن كان بعضُها له خصوصية مع سيد، لكنها -في مجملها- صالحة لإنزالها على غيره، إن أردنا القراءة الواعية، والإنصاف الحقيقي، والوصول لنتائج ترتضيها العقولُ المستقيمة والنفوس السوية".[٤٣]

٩) رأي الأستاذ محمد قطب رحمه اللّه

ونختم بكلام لمحمد قطب، وهو أدرى الناس بشقيقه، والذي وجّه رسالة للدكتور كمال السنانيري رحمه الله حول فكر سيّد، وقال فيها: "إن كتابات سيد قطب تركزت حول موضوع معين هو بيان المعنى الحقيقي لـ (لا إله إلا الله)، شعوراً منه بأن كثيراً من الناس لا يدركون هذا المعنى على حقيقته، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان، كما وردت في الكتاب والسنة، شعوراً منه بأن كثيراً من هذه المواصفات قد أُهمِل أو غفل الناس عنه، ولكنه مع ذلك حرص حرصاً شديداً على أن **يبين أن كلامه هذا ليس مقصوداً به إصدار أحكام على الناس، وإنما المقصود به تعريفهم بما غفلوا عنه من هذه الحقيقة**. ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرة يقول: (نحن دعاة ولسنا قضاة)، كما سمعته أكثر من مرة يقول: (إن الحكم على الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشك، وهذا أمر ليس في أيدينا، ولذلك **فنحن لا نتعرض لقضية الحكم على الناس، فضلاً عن كوننا دعوة ولسنا دولة، دعوة مهمتها بيان الحقائق للناس، لا إصدار الأحكام عليهم)**.

أما بالنسبة لقضية المفاصلة، فقد بيَّن في كلامه أنها المفاصلة الشعورية التي لا بد أن تنشأ تلقائياً في حس المسلم الملتزم تجاه من لا يلتزمون بأوامر الإسلام، ولكنها ليست المفاصلة الحسية المادية، فنحن نعيش في هذا المجتمع، وندعوه إلى حقيقة الإسلام، ولا نعتزله، وإلا فكيف ندعوه؟".[٤٤]

---

[٤٣] **الدكتور وصفي عاشور أبو زيد: مقال (القواعد العشر الحاكمة لقراءة سيد قطب)، منشور على عدة مواقع.**

[٤٤] **مجلة (المجتمع)، العدد ٢٧١، نقر عن مقال محمد علي الهاشمي السابق.**

خـلاصـة

نميل إلى القول بأن الشهيد سيّد قطب لم يكن تكفيريا، ولكنه بالغ في استخدام مصطلحات صحيحة في ذاتها، كالجاهلية والحاكمية، وخطابه يُعتبر متشددا مقارنة بخطاب سائر إخوانه من نفس المدرسة الدعوية التي ينتسب إليها. كما أن سيّد قطب كان يخالط الناس، ويصلي مع الناس، و(التكفيري) لا يفعل ذلك.

رحم الله الأستاذ سيد قطب، وأسكنه فسيح جنّاته.

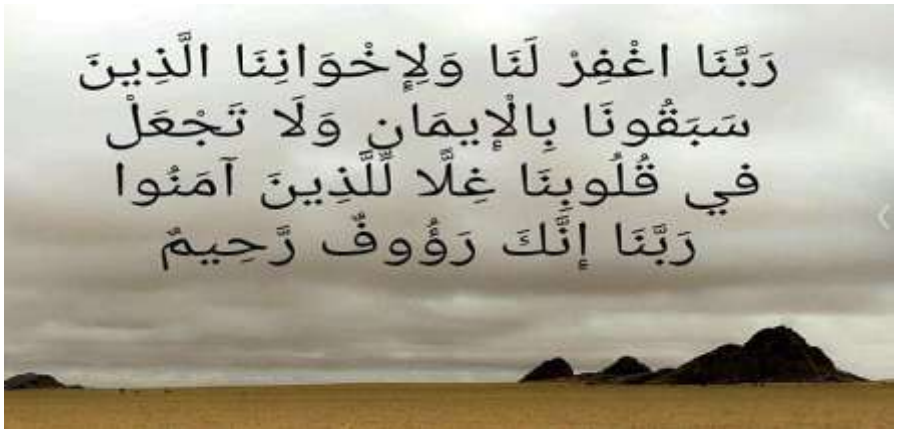

مـلـحـق: مؤلفات مفيدة عن سيّد قطب

م	الكتاب	المؤلف
١	العبقري العملاق والمجدد المبدع سيد قطب	د. توفيق الواعي / د. إبراهيم منير
٢	سيد قطب بين العاطفة والموضوعية	المستشار سالم البهنساوي
٣	أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب	د. صلاح الخالدي
٤	سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد	د. صلاح الخالدي
٥	المنظور التاريخي في فكر سيد قطب	د. عماد الدين خليل
٦	سيد قطب المفترى عليه	محمد بن دليم القحطاني
٧	منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب	د. محمد عبدالقادر أبو فارس
٨	سيد قطب .. الشهيد الأعزل	محمد علي القطب
٩	أقوال العلماء المنصفين في سيد قطب	د. مشاري سعيد المطرفي
١٠	سيد قطب ضد العنف	د. منير محمد الغضبان
١١	في ظلال سيد قطب	د. وصفي عاشور أبو زيد